# الدرس الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرّبُوبِيّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ وَأَقَرّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ وَشَهِدَتْ بِأَنّهُ اللّهُ الّذِي لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ ، وَسُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ .

وَلَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيّتِهِ كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيّتِهِ وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسّمَوَاتُ وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ وَبِهَا أَرْسَلَ اللّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ الْمَوَازِينُ وَوُضِعَتْ الدّوَاوِينُ وَقَامَ سُوقُ الْجَنّةِ وَالنّارِ وَبِهَا انْقَسَمَتْ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجّارِ فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثّوَابِ وَالْعِقَابِ وَهِيَ الْحَقّ الّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السّؤَالُ وَالْحِسَابُ وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثّوَابُ وَالْعِقَابُ وَعَلَيْهَا نُصِبَتْ الْقِبْلَةُ وَعَلَيْهَا أُسّسَتْ الْمِلّةُ وَلِأَجْلِهَا جُرّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ وَهِيَ حَقّ اللّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَمِفْتَاحُ دَارِ السّلَامِ وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ اللّهِ حَتّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا. وَجَوَابُ الثّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ " أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً .

وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ وَخِيَرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ ، الْمَبْعُوثُ بِالدّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ أَرْسَلَهُ اللّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَإِمَامًا لِلْمُتّقِينَ وَحُجّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ .

أما بعد : فهذه الرسالة التي سأقوم بشرحها بعون الله رسالة مهمة في العقيدة ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي ، الإمام المشهور .

وقبل البدءِ بشرح الرسالة لا بد أن انبه أن للشيخ رحمه الله تعالى رسالة أخرى بعنوان الأصول الثلاثة رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ كتبها ليعلمها الصبيان والصغار تلك يقال لها الأصول الثلاثة ، وأما ثلاثة الأصول فهي هذه التي سنشرحها بعون الله ، ويكثر الخلط بين التسميتين ، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول ، أو الأصول الثلاثة ، لكن تسميتها المعروفة أنها ثلاثة الأصول وأدلتها.

وقبل البدءِ في شرح الكتاب أريد أن أصف الكتاب وصفاً عاماً ؛ ليأخذ طالب العلم فكرة عن الكتاب الذي سيقوم بدراسته بعون الله .

الكتاب كما سوف ترون لم يبدأ مباشرة بالحديث عن الأصول الثلاثة التي جعلت عنواناً للكتاب ، وإنما بدأها المصنف بمقدمة شاملة جامعة تشتمل على ثلاثة *موضوعات من الموضوعات المهمة جداً .*

أما الموضوع الأول: فبدأه المصنف بقوله :

"اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّه يَجِبُ عَلَينَا تعلُّمَ أربعِ مسائلَ .؛ الأُولى: العِلْمُ ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ. الثانيةُ: العملُ بِهِ. الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ. الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

هذا هو الموضوع الأول.

ثم بدأ الموضوعَ الثاني في مقدمته بقوله:

" اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاثَ مسائل والعملُ بهنَّ : (وهذا موضوع آخر . ) المسألة الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورَزَقَنا ولم يتركْنا هملاً□ بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ .

المسألة الثانية : أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرَك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل.

المسألة الثالثة : أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ."

وهذا هو الموضوع الثاني الذي ذكره الشيخ – رحمه الله تعالى– في مقدمته للكتاب.

أما الموضوع الثالث الذي ذكره الشيخ في المقدمة للكتاب : فهو قوله :" اعلَمْ –أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه– أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها .

هذه هي الموضوعات الثلاثة التي ذكرها الشيخ – رحمه الله – بين يدي الحديث عن الأصول الثلاثة . ثم شرع بعد ذلك في الحديث عن الأصول فقال : " فَإِذَا قِيلَ لَكَ مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها ؟ فقُلْ معرفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا ﷺ.

ثم ختم المصنف – رحمه الله تعالى– كتابه هذا ببعض قضايا الإيمان باليوم الآخر: كالإيمان بالبعث والحساب.

هذا وصف مجمل عام للكتاب الذي سأقوم بشرحه بعون الله.

والآن ننتقل لشرح الكتاب بعون الله :

يقول المصنف رحمه الله :" اعلمْ –رحمكَ اللهُ– أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛ الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ. الثانيةُ: العملُ بِهِ. الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ. الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

والدليلُ قولُه تعالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ (١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾[العصر]، قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هذِه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وقال البخاريُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى: بابٌ :" العلمُ قبلَ القولِ والعملِ "والدليلُ قولُه تعالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[مُحَمَّد:١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ."

نأتي الآن لشرح هذا الكلام :

قال الشيخ رحمه الله : اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّه يَجِبُ عَلَينَا تعلُّمَ أربعِ مسائلَ .

" إعلم " كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها.

ومعناها : كن متهيئاً لما يلقى إليك من العلوم.

" رَحِمَكَ اللهُ " أي : غفر الله لك ما مضى ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل . فهو دعاء لك بالرحمة . وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة ، فالمغفرة لما مضى ، والرحمة سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل .

والدعاءُ بالرحمة للمتعلم في بداية الكلام ، فيه التلطف و الرحمة بالمتعلمين .

قوله : (يجبُ علينَا تَعَلُّمَ أربعِ مسائلَ) : المقصود هنا بالوجوب : الوجوب العيني يعني : يجب علينا وجوباً عينياً ، أي فرضاً عينياً تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ .وهي: الأولى : العِلْمُ ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ. الثانيةُ: العملُ بهِ. الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ. الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

فيجب على كل بالغ عاقل أن يعرف ربه ، ويعرف دينه ،ويعرف نبيه .بالدليل . ولا ينفع التقليد هنا .

والعبارة المشهورة عند أهل العلم: أن التقليد لا ينفع في العقائد، بل لابد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها، هذا الدليل أعم من أن يكون نصاً من القرآن ، أو من سنة، أو من قول صاحب، أو من إجماع، أو قياس، وسيأتي تفصيل الدليل إن شاء الله تعالى في موضعه.

المهم أن التقليد لا يجوز في العقائد عند أهل السنة والجماعة بما فيهم الأشاعرة والماتريدية ، واختلفوا في ماهية الدليل الذي يجب على كل مكلف أن يعرفه . فعند الأشاعرة والماترودية : أن أولَ واجب على المكلف هو النظر ، فلا يصح الإيمان إلا إذا نظر ، ويقصدون بالنظر ؛ النظر في الآيات المرئية ؛ في الآيات الكونية ، ينظر إلى السماء ، يستدل على وجود الله جل وعلا بنظره ، أما أهل الحديث فيقولون يجب أن يأخذ الحق بالدليل ، وهذا الدليل يكون بالآيات المتلوّة ، فيقولون لابد من النظر في الدليل ، لا لأجل الاستنباط ، ولكن لأجل معرفة أن هذا قد جاء عليه دليل ، طبعاً في المسائل التي لا يصح إسلام المرء إلا به ؛ مثل معرفة المسلم أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دون ما سواه ،وكذلك يجب عليه معرفة كيفية الكفر بالطاغوت . كل هذا لابد أن يكون عنده برهان عليه ، يعلمه في حياته ، ولو مرة واحده .

والعلم أيها الاخوة ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول :العلم الواجب :كعلم التوحيد والعقائد ومعرفة الشروط والأركان والواجبات والعبادات الواجبة والمعاملات الواجبة ومعرفة المحرمات ... الخ

القسم الثاني : العلم المستحب :كتعلم المستحبات . وهذه باعتبار الأفراد . أما باعتبار الأمة فلا بد على الكفاية من معرفة المستحبات في الجملة ولأنه من باب حفظ الدين .

القسم الثالث : ما هو فرض كفاية : كتعلم الطب والصناعات . وهذا فرض كفاية ، ومثله علم اللغات وما شابه من العلوم المباحة والنافعة للمسلمين.

القسم الرابع : العلم المحرم : كتعلم السحر وعلم الموسيقى وعلم الربا وما شتبه .

أيها الأخوة : فرض على كل مكلف معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل ، ولا يجوز التقليد في ذلك ، لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ورسالة مُحَمَّد ﷺ ( ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وأن الأمور الشركية التي تفعل في زمانه باطلة وضلال فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه وابتعد عن الشرك الأكبر بجميع أنواعه فهو مسلم ، وإن لم يترجم بالدليل ، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً .

أيها الأخوة : أول المسائل الأربع التي تجب على كل مكلف : العلم : والعلم إذا أطلق فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه.

والعلم الشرعي على قسمين : فرض عين . وفرض كفاية .

وما ذكره المصنف رحمه الله : فرض عين على الذكر والأنثى والحر والعبد أن يعرفه ولا يعذر أحد بجهله.

فقد قال رسول الله ﷺ :" طلب العلم فريضة على كل مسلم ." (رواه ابن ماجه وأحمد )

بعد أن ذكر المصنفُ أولَ المسائل التي يجب على المكلف معرفتها وهي العلم : بدأ بتفصيل ما يقصده من العلم : فقال: " وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ."

أما عن قوله " معرفةُ اللهِ"

أي : أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعرف كلُ واحد ربه بذاته وصفاته وأفعاله ، ،أنه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأن يعرف العبد بأن الله تبارك وتعالى هو خالقه ورازقه والمتصرف في أمره ، بل وفي الكون كله ، وهو المستحق لأن يعبد وحده دون سواه ، وكل عبادة صرفت لغيره فهي عبادة باطلة ، ويكفر بكل أنواع الطواغيت ، بأن يُكفِّر الطاغوت ومن عبده ومن والاه ومن لم يكفرهم ، وكذلك يجب عليه أن يؤمن بأن لله الأسماءُ الحسنى وصفاتُ الكمال العلى التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ .

أيها الأخوة : معرفة الله لها بابان واسعان :

أحدهما : النظر في مفعولاته . كقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) ( البقرة : ١٦٤)

الثاني : التفكر في آياته وتدبرها ." آيات الله الكونية والشرعية طبعاً .

أما عن قوله "ومعرفةُ نبيّهِ "

يعني أن تعرف نبيُك وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي ثم المدني ، معرفة تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق وتصديقه فيما أخبر وامتثال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وتحكيم

شريعته في كل صغيرة وكبيرة في الأمور الدينية والتنظيمية .والسير على منهاجه في تحقيق منهج الله في الأرض ، وأن تؤمن أن الله أرسله للعالمين جميعاً من الجن والإنس إلى يوم الساعة . وأنه لا نبي بعده لا ظلي ولا تشريعي .

قال تعالى : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) (النساء ٦٥)

وسيأتي تفاصيل هـذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة إن شاء الله .

أما عن قوله : " ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ "

الإسـلام : بالمعنى العام : " هو التعبد لله بما شرع " فهناك آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل.

قال تعالى عن إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ .( البقرة :١٢٨)

والإسـلام : بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ( يختص بما بعث به مُحَمَّد ﷺ ) ، لأن ما بعث به النبي ( نسخ جميع الأديان السابقة ، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم.

وهـذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله.

قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام. ﴾

ودين الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

والاستسلام لله بالتوحيد : يكون بإفراده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات . يعني : أن تذل وتخضع لله بما يستحق من الأسماء والصفات ومن الربوبية والعبادة .

والانقياد لله بالطاعة : عمل ما فرضه ورضيه ويحبه الله .

والبراءة من الشرك وأهله : هو البغض والعداوة والابتعاد عن الشرك والمشركين اعتقاداً وعملاً .

وهذا الإسلام هو الدين الذي امتن الله به على مُحَمَّد ﷺ وأمته.

قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ).

أما قوله " : بالأدلةِ "

يعني : معرفة دين الإسلام الذي تَعَبد الله الخلق به بالأدلة من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح .

والأدلة : جمع دليل ، والدليل هو: ما يوصل به إلى المطلوب.

وهنا يشير المصنف بقوله " بالأدلة " على أنه لا يصلح فيه التقليد.

والتقليد معناه : اتباع من ليس قوله حجة . ليخرج بذلك اتباع الرسول ﷺ ( فإنه ليس تقليداً لأنه حجة ، ويخرج بذلك أيضاً اتباع أهل الإجماع لأن الإجماع حجةٌ أيضاً .

قال أبو عمر بن عبد البر وغيره :" أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن معرفة الحق بدليله .وقال ابن القيم رحمه الله : وهذا كما قال أبو عمر فإن الناس لا يختلفون في أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .

أما المسألة الثانية التي يجب على كل مكلف أن يعرفَها " العملُ بِهذا العلم "

فقد قال المصنف رحمه الله

"الثانيةُ: العملُ بهِ".

فالعمل هو : ثمرة العلم ، والعلم مقصود لغيره ، بمنزلة الشجرة ، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به ، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل . بل هو وبال على صاحبه . واعلم أن العلم إن وجَد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك ، ودار العلم العمل ، والعلم لا يثبت إلا بالعمل.

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل "

وقال بعض السلف : " من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم ".

ولذلك كان علماء السلف في الماضي والحاضر هم القمة والقدوة ، لأنهم عملوا بما علموا في كل وقت ومكان ، في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك .

وقد قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : ( من انحرف من العلماء من أمة مُحَّد ولم يعمل بعلمه ففيه شبه من اليهود ، ومن انحرف من العبَّاد وعبد الله على جهل ففيه شبه من النصارى . "

فاحذر يا أخي أن تكون قدوة سيئة بتركك للعمل واستمع جيداً لما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد : ( علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أفواههم للناس هلموا ، قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أولَ المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق ) .

ايها الأخوة : إذاً فالمسألة الثانية التي يجب علينا تعلمها هي العمل بالعلم ، والعمل بالعلم منه ما تركه كفر ، ومنه ما تركه معصية ، ومنه ما تركه مكروه ، ومنه ما تركه مباح.

فالعلم بالتوحيد : يعني بأن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده وأنه يجب الكفر بكل أنواع الطاغوت ، إذا علم العبد هذا ولم يعمل بهذا العلم ، بأن تحاكم للطاغوت في أي مسألة صغيرة كانت أم كبيرة شرعية كانت أم إدارية أو أطاعه في التشريع في تحليل الحرام أو تحريم الحلال ، أو والاه أو لم يكفره أو لم يكفر من لا يكفره أو أتى بأي نوع من أنواع الشرك الأكبر ، لم ينفعه علمه ، فكان ترك العمل في حقه كفراً .

والطاغوت يا أخوة هو : ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .وسيأتي بيانه لاحقاً بعون الله .

وقد يكون ترك العمل بالعلم معصية : بأن علم مثلاً أن الخمر حرام شُرْبها، حرام بيعها، حرام شراؤها ، حرام سقيها، حرام استسقاؤها ، ثم بعد ذلك خالف العلم الذي عنده فشرب الخمر أو باعه وهو يعتقد حرمة ذلك فقد ارتكب معصية وكبيرة من الكبائر .

وقد يكون ترك العمل بالعلم مكروه : إذا علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ، كان يصلي على هيئة ، وصِفة معينة، فخالفه في سنة من السنن بعد عِلمه بها، تَرْك العمل بالعلم الذي عنده هذا ، مكروه ؛ لأنه ترك العمل بسنة ، ولم يترك العمل بواجب ، فيكون تركه مكروه ، ويكون العمل بذلك مستحباً.

وقد يكون ترك العمل بالعلم مباحاً : وهو في المباحات والعادات . مثل كون بلغنا من العلم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان من هيئته في لباسه كذا وكذا، كانت مشيته على نحو ما، هذه الأمور الجبلية الطبيعية، فيما نتعلمه، مما لم نخاطب فيها بالإقتداء ، إذا ترك العمل بها، كان تركه مباحا . لأنه لم يخاطب المسلم بأن يقتدي بمثل هذه الأمور ولكن إذا فعل هذه الأشياء بنية الإقتداء يؤجر طبعاً .

ودليل العمل هو قوله جل وعلا ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:٣]

أما المسألة الثالثة التي يجب أن نتعلمها فهي : الدعوة إلى العلم:

"الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ." يعني إذا علم وعمل فإنه يدعو إلى ما تعلمه . والدعوة قد تكون بالمقال ، وقد تكون بالفعال ؛ أما الدعوة بالمقال يعني باللسان ومنها الكتابة بالقلم فقد تكون واجبة ، وقد تكون مستحبة . أما كون الدعوة قد تكون بالفعال : فالمسلم إذا امتثل لأمر الله فهو يرشد غيره بعمله أرشاداً صامتاً .

أيها الاخوة : إذا حصل للمكلف بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعملُ به ، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه كما هي طريقة الرسل وأتباعهم.

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني. ﴾ ...

وأعلى مراتب العلم : الدعوة إلى الله ونفي الشرك والأنداد والفساد ، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى الكفر بجميع أنواع الطواغيت وطاعة الله وإفراده بالعبادة ، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه .

قال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. ﴾

وفضل الدعوة إلى الله والدلالة على الخير كبيرٌ جداً :

فعن أبي هريرة ﷺ أ ن رسول الله ﷺ قال : ( من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً ) . رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ : ( من دل على خير فله مثل أجر فاعله ) . رواه مسلم .

أيها الأخوة للدعوة إلى الله شروط يجب إلتزامها :

أولاً : يجب على الداعي لدين الله أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه.

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني. ﴾

لأنه قد يُكفر بما ليس كفراً ، وقد يبيح ما هو كفر .والعياذ بالله .وقد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب ، فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم ، وهو في دين الله غير محرم.

ثانياً : أن يكون على بصيرة بحال المدعو:

عن ابن عباس ﷺ ( أن رسول الله ﷺ : ( لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : ( إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ... ) متفق عليه.

فأخبره النبي ( بذلك لأمرين :

الأول/ أن يكون بصيراً بأحوال من يدعو.

الثاني/ أن يكون مستعداً لهم ، لأنهم أهل كتاب وعندهم علم.

ثالثاً : الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والعفو والموعظة الحسنة.

إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء . عليهم السلام . هو الدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة .

يقول الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً. ﴾

ويقول سبحانه وتعالى عن رسول الله ( : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك. ﴾

ويقول سبحانه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً موسى وهارون . عليهما السلام . حينما بعثهما إلى فرعون :

﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى. ﴾

قال ابن كثير رحمه الله : ( هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمَر أن لا يخاطب فرعونَ إلا بالملاطفة واللين ) أ . هـ

وعن أنس بن مالك ﷺ : أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ : ( دعوه ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه ) متفق عليه.

وفي رواية قال : ( إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ).

وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ( إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه ) رواه مسلم

يقول المصنف رحمه الله : " الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ."

فالمسألة الرابعة التي يجب أن نتعلمها هي أن يتعلم الداعية، الذي علم، ثم عمل ثم دعا، أنه يجب عليه أن يصبر .

فالأنبياء والمرسلون الذين هم أفضل الخلق وأعلاهم درجة ، لم يجعل القبولُ لهم ، وإنما عورضوا ، و أوذوا ، وحصل لهم ما حصل ، فالداعية يحتاج إلى أن يصبر كما صبر المرسلون .

فمن دعا إلى دين الإسلام الصحيح على نهج الأنبياء والمرسلين ، فسوف يتعرض مثلهم إلى الأذى .فالأنبياء والرسل وأتباعهم يدعون الناس لعبادة الله وحده وتركِ جميع أنواع الشرك ،ويدعون لتحكيم شرع الله في كل كبيرة وصغيرة ، فهم يريدون أن يخرجوا الناس من عبادة بعضهم بعضاً لعبادة الله وحده لا شريك له . فهذه الدعوة لا تروق للطواغيت فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويحاربون دعاتها بكل سلاح .

كذلك أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم ومألوفاتهم ، ويثوروا على شهوات أنفسهم ، ومعبودات آبائهم ، وعادات أقوامهم ، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى ، وأحل وحرم ، وأكثر الناس لا يروقهم ذلك ، لهذا يقاومون هذه الدعوة وأصحابها بكل قوة لديهم .

فليس أمام دعاةِ الحق إلا أن يعتصموا باليقين ، ويتسلحوا بالصبر .

ولقد ذكر الله الصبر في كتابه العزيز في مواضعِ كثيرة ومناسبات عديدة ، وما ذاك إلا لفضله وعظمته وثمرته.

وقد نقل ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين عن الإمام أحمد رحمه الله : " الصبر في القرآن في نحو تسعين موضع ".

ومن هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق. ﴾

أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصرة إياك عليهم.

ويقول تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً. ﴾

فالله سبحانه وتعالى يرشدهم إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل.

ويقول تعالى : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴾

وقال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون. ﴾

قال سفيان الثوري رحمه الله : " بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ".

قال تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور. ﴾

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ( من يرد الله به خيراً يصب منه. )

وقال رسول الله ﷺ : " واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ) رواه مسلم ، وأحمد.

وقال رسول الله ﷺ : ( ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى الله أحداً عطاءً هو خير وأوسع من الصبر ) . متفق عليه.

فالصبر أيها الأخوة : في غاية المهمات لمن علِم ، فعمل ، فدعا، فهو يحتاج إلى أن يصبر، فإن لم يصبر ، كان من الـذين يستخفهم الـذين لا يوقنـون، قـال جـل وعلا﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم:٦٠]

يقول المصنف رحمه الله : والدليل قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ (١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾[العصر]

أي الدليل على هذه المراتب الأربع قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ (١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾[العصر]

أقسم الله عز وجل في هذه الصورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر ، على أن الإنسان كل الإنسان في خيبة وخسران مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من أتصف بهذه الصفات الأربع : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . فسورة العصر تدل على الواجبات الأربع .

والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه ، فلا أحد يحجر عليه ، فأقسم بالسماء ذات البروج ، وأقسم بالسماء والطارق ، وبالضحى وبالشمس وضحاها ، وبالليل إذا يغشى ، وبالنازعات ، وغير ذلك ؛ لأن المخلوقات تدل على عظمته ، وعلى أنه سبحانه هو المستحق للعبادة ، ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات التي تدل على وحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده . وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه ، فلا يجوز له أن يقسم أو يحلف بغير الله ، ولا يجوز له أن يحلف بالأنبياء ، ولا بالأصنام ، ولا بالصالحين ، ولا بالأمانة ، ولا بالكعبة ، ولا بغيرها . هذا هو الواجب على المسلم ؛ لقول النبي ـ ﷺ ـ : " من حلف بشيء دون الله فقد أشرك " أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح . وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت "

( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أي دعا بعضهم بعضا إلى الحق ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أي دعا بعضهم بعضاً إلى الصبر على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

فالصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على قدر الله المؤلم .

قال ابن القيم رحمه الله : ( جهاد النفس أربع مراتب:

أحدها / أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها شقيت في الدارين.

الثانية / أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة / أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

الرابعة / أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ) . أ . هـ

قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى:" لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هذِه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ. "

وفي رواية : " لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم " ؛ أي لو نظروا فيها وتأملوا فيها لكانت كافية في إلزامهم بالحق ، وقيامهم بما أوجب الله عليهم ، وترك ما حرمه عليهم ؛ لأن الله بين أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر هم الرابحون ، ومن سواهم خاسر .

ومراده رحمه الله : أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك ، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة .

لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران ، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان . والعمل الصالح . والتواصي بالحق . والتواصي بالصبر .

قال ابن تيمية رحمه الله : ( وهو كما قال . أي الشافعي . فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر ) . أ . ه

أيها الأخوة إن صورة العصر اشتملت على كل ما يدل الخلق على ربهم جل وعلا، ويقودهم إلى إتباع رسالة النبي عليه الصلاة والسلام .

وقال البخاريُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى: بابٌ :" العلمُ قبلَ القولِ والعملِ "والدليلُ قولُه تعالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمَّد:١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ."

استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل ، وذلك أن الله أمر نبيه في هذه الآية بأمرين : بالعلم ثم العمل.

والمبدوء به العلم في قوله : ﴿ فَاعْلَمْ ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل . والعقل السليم يدل على ذلك ايضاً ، يدل على أن العلم قبل القول والعمل ، وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة ، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم .

قال الشاعر:

وكل من بغير علم يعمل          أعماله مردودة لا تقبل

وقال ابن حجر . رحمه الله . في قوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ : ( قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك ، حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : ( وإن العلم لا ينفع إلا بالعمل ) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه ) . الفتح ج١ ص١٦٠.

وسئل سفيان عن فضل العلم فقال : ( ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال ﴿ : واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾

واعلم أنه هناك تلازم بين العلم والعمل ، فلا عمل بدون علم ولا علم بدون عمل ، ويدل عليه قوله تعالى : ( غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم ) علموا ولم يعملوا وهم اليهود ( الضَّالِين ) عملوا بدون علم وهم النصارى .

وليس هناك تلازم بين العمل والدعوة . بمعنى إنه لا يدعو إلّا بما عمل به ، أو لا يتعلم إلّا ما يدعو إليه ، فهذا لا يلزم . بل يجب على المسلم أن يدعو بالذي عمل به والذي لم يعمل به ، فلو كان يعلم أن هذا حرام فيجب عليه أن يدعو إلى تركه وإن كان يعمله . والسبب ، لأن الذي دعا بما لم يعمل به وقع في خطيئة واحدة وهي عدم العمل بما دعا به . وأما إذا لم يدع وقع في خطيئتين ، عدم العمل وعدم الدعوة إليه .

## الدرس الثاني

قال المصنف رحمه الله : اعلمْ رحِمكَ اللهُ : أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلّمُ هذه الثلاثَ مسائل والعملُ بهنَّ :"

قوله رحمه الله : " اعلمْ رحِمكَ اللهُ " يعني أنتبه لما سأقوله لك وتعلمه حتى يغفر الله لك ما مضى ويوفقك ويعصمك في المستقبل .

قوله رحمه الله : أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلّمُ هذه الثلاثَ مسائل والعملُ بهنَّ :"

يعني يجب وجوباً عينياً ، أي فرضاً عينياً على كل مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاثَ مسائل مع المسائل الأربع التي سبقت فهي فرض عين على كل بالغ عاقل ؛ لأن فيها بيان أصل الدين وقاعدتِه .

ثم بدأ المصنف رحمه الله في بيان هذه المسائل الثلاثة فقال رحمه الله :

" الأولى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .

المسألة الأولى التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمُها هي : : أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .

قوله رحمه الله : " أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا " يعني : يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم أن الله خلقنا . وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا القليلُ من الناس ، المشركون في زمن رسول الله ﷺ لم ينكروا هذه الحقيقة مع مكابرتهم وعنادهم وإعراضهم عن الحق .

قال تعالى عنهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وقال تعالى أيضاً عنهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾

والأدلة النقلية والعقلية التي تثبت أن الله خلقنا كثيرة جداً منها :

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

قول المصنف رحمه الله : "وَرَزَقَنَا "

أي ويجب أن نعلم أن الله وحده هو الذي رزقنا كما أنه هو وحده الذي خلقنا .

عرف ابن منظور الرزق في لسان العرب فقال :" الرزق: هو ما تقوم به حياة كل كائن حي مادي كان أو معنوي ."

إذاً ليس الرزق هو فقط الأكل والشرب فهو أوسع من ذلك وأعم . فهو كل شي تقوم به حياة الكائن الحي مادي كان أو معنوي .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

وقال ﷻ أيضا : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

قال رسول الله ﷺ في الجنين :

( يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ) .

قوله رحمه الله : " وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا "

يعني : يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا سدا ولا عبثا ، سبحانه وتعالى عما يصفون ، فقد قال عز من قائل : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة منا ، أحسبتم أننا خلقناكم لغير غاية ولغير حكمة ؟ أم حسبتم أن لن يكون بعث لكم بعد موتكم ؟ هذا الظن ، فيه قدح في حكمة الله جل وعلا ، لذلك قال الله سبحانه وتعالى بعدها ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تعالى عما يصفه به المبطلون، تعالى عما يظنه الجاهلون القادحون في حكمته . بل إنما خُلقنا لغاية سامية ، ولقد بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال عز من قائل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

إذا الغاية من خلق الإنس والجن هي لعبادة الله وحده لا شريك له .العبادة بمعناها العام ، وهذا هو حق الله علينا .

وسيأتي بإذن الله بيان معنى العبادة .

قول المصنف رحمه الله : " بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ "

إن الله سبحانه وتعالى : لم يخلقنا عبثا ، بل أرسل إلينا رسلاً يعرفوننا بالله ويعلموننا ما يريده الله منا وما هو حقه علينا ، فإن أطعنا الرسول في كل ما يأمرنا به فقد أطعنا الله ، وكانت مكافأتُنا دخول الجنة خالدين فيها أبدا ، أما إن عصينا الرسول وأتبعنا أهواءنا ولم نعط الله حقه ، فقد استحقينا دخول النار ، والعياذ بالله .

والرسول الذي أرسله الله لنا هو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو المرسل إلى الأنس والجن إلى يوم القيامة رسولنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾

قال تعالى أيضا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

فمن سمع بمحمد ﷺ ولم يؤمن به فهو كافر ، وسيدخل النار خالداً فيها ولو أدعى أنه آمن بجميع الرسل التي جاءت قبله عليه الصلاة والسلام .

فقد قال ﷺ : ( والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ) .رواه مسلم

أيها الأخوة ولا بد هنا أن أنبه أن أمة مُحَمَّد ﷺ تنقسم إلا قسمين :

– أمة الإجابة : وهي من آمن برسول الله ﷺ ، الأمة المسلمة .

وهناك أمة الدعوة : وهي جميع الإنس والجن بعد بعثة رسول الله ﷺ . إلى يوم القيامة . وهذه هي المقصودة في الحديث .

قول المصنف رحمه الله : " فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ"

يعني : فمن أطاع رسولنا مُحَمَّداً عليه أفضل الصلاة والسلام سيدخل الجنة ، ومن عصاه واتبع هواه أو هوى غيره فسيدخل النار . لأن طاعة الرسول طاعة لله ، ومعصية الرسول ﷺ معصية لله .

قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

بل لا يجوز لمن آمن بالله ورسوله أن يقدم قولا أو فعلاً على قول وفعل رسول الله – ﷺ

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

قال ابن عباس ﷺ في هذه الآية : أي لا تقولوا قولاً خلاف الكتاب والسنة .

وقال القرطبي رحمه الله في هذه الآية : " أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول وفعل رسول الله، فإن من قدم قوله أو فعله، على قول وفعل رسول الله، فإنما قدمه على الله ؛ لأن الرسول – ﷺ – لا يأمر إلا بما أمر به من الله – عزّ وجلّ – " .

قول المصنف رحمه الله : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾

فهذا فرعون أرسل الله له موسى رسولاً يبلغه رسالة ربه وأوامره ، ولكنَّ فرعون عصاه ولم يتبع أمره ، فكان جزاؤه أن أخذه الله أخذ عزيز مقتدر . وهذا جزاء كل من لم يطع الرسل .

أيها الأخوة : الإنسانُ لوحده لا يستطيع أن يعرف الله كما يريد الله ، ولا يستطيع أن يعرف الوصول إليه بالمعنى الصحيح ، ولا يستطيع أن يعرف كيف يعبده بالشكل الذي يرضيه ، لهذا إحتاج لأن يرسل إليه من يعلمه ذلك ، وهذه هي وظيفة الرسل الذين أرسلهم الله للناس .فمن أطاع هؤلاء الرسل فقد عبد الله على بصيرة واستحق دخول الجنة . ومن خالف الرسل وعبد الله حسب أهوائه أو أهواء غيره ، فقد عصى الله واستحق دخول النار . وكل أمة أرسل إليها نذير ، فقد قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نذير ينذرهم ويبشرهم ؛ يُبَشِّر من أطاع بالجنة ورضاء الله وينذر من النار من عصا وخالف . فلم يترك الله سبحانه الخلق وشأنهم بعد أن خلقهم ، بل بعث لهم رسلا يعلمونهم ويهدونهم ويبصّرونهم الطريق التي توصل إلى رضاه . لأنه لا طريق توصل إليه إلا طريق الرسل .

والطريق إلى الله واحدة ، هي طريق الرسل وما عداها طرق الشيطان وهي كثيرة . قال تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالصراط المستقيم صراط واحد ، وما عداه صُرط أهل الضلال والهوى والجهل والغِواية . وطريق الرسل هو الإسلام العام كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ، يعني : الاستسلام لله جل وعلا بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله . هذا هو الإسلام العام التي دعت إليه كل الرسل فقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

وعندما دَعت الرسل إلى توحيد الله وترك الأنداد : عندما دعت إلى توحيده بالشعائر التعبدية ، وتوحيده بالحكم والتشريع ، وتوحيده بالولاية . ودعت إلى تكفير جميع أنواع الطواغيت وتكفير أتباع الطواغيت وتكفير من لم يكفر الطاغوت وأتباعه ولم يتبرأ منهم . بدأ الصدام بين جنود الرحمن وجنود الشيطان ، بدأ الصدام بين من يريد أن يخرج الناس من عبادة بعضهم لبعض لعبادة الله وحده لا شريك له ، وبين من لا يروق له ذلك لأي سبب كان ، وبدأت معركة الحق والباطل . وستظل هذه المعركة ، ما دامت السموات والأرض . اللهم اجعلنا من جنود الرحمن .

أيها الأخوة :

قال بعض أئمة السلف «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب»؛ ليس الشأن أن تحب الله، فإن محبة الله جل وعلا يدعيها المشركون، يدعيها الضالون ، كل قوم بُعث فيهم الرسل يدعون أنهم يريدون وجه الله ، يريدون ما عند الله يحبونه ، ربما يتصدقون ويُصَلُّون ويدعون ويتقربون، حتى مشركي العرب كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم من الله تعالى . فقد قال الله عنهم " وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى "

إذاً ليس المهم أن تدعي حبك لله ، المهم أن يحبك الله . والسبيل الوحيد لمحبة الله لك قد بينها سبحانه وتعالى في قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ﴾ . فإذاً سبيل محبة الله للعبد هي طاعة الرسل ، ولأن رسالة سيدنا مُحَمَّد ﷺ قد نَسخت جميع الرسالات ، فقد بقيت طريق واحد للوصول إلى رب العباد وهي إتباع هدي خاتم النبيين المرسل لكل الأنس والجن إلى يوم القيامة مُحَمَّد ﷺ وما عداه فهي طرق مغلقة لا توصل لرضى رب العالمين ، فمن لم يتبع هدي هذا النبي الخاتم ، فهو من الضالين الذين تنكبوا سبيل الحق .مهما ادعى حبه لله .

وأهم مهام الرسول الذي يرسله الله جل وعلا هي : أنه شاهد ؛ شاهدٌ للخلق وشاهد عليهم ، شاهد لهم بما عملوا به من شرْع الله الذي جاء به -وشاهد عليهم. قال تعالى : ( إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ )

أما المهمة الثانية فهي : البشارة والنذارة :وهي البشارة بالجنة للمطيع ، والنِذارة وهي التخويف بالعقاب للعاصين.

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

قال رسول الله ﷺ : "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى . قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال :من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " البخاري

أما المهمة الثالثة فهي : الحكم بين الناس والفصل في خصوماتهم.

قال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ...

وأما المهمة الرابعة فهي : تعليم الناس شرع الله. قال تعالى : ( وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وقال تعالى : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )

قول المصنف رحمه الله : " الثانية : أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرَك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل . والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

المسألة الثانية التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمُها هي : أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرَك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل .

إن الله سبحانه وتعالى لا يرضى الشرك بجميع أنواعه ، فهو لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد مهما كان ، حتى لو كان أقرب المقربين إلى الله ، كالملائكة والأنبياء والرسل .بل كلهم عبيد لله جل وعلا ، وإنما يرضى الله عز وجل التوحيد الخالص ، يرضى أن يعبد وحده دون ما سواه ، فمن أشرك مع الله جل وعلا فقد نقض الغاية التي خلق لها .

فالشرك أظلم الظلم ، وأقبح الجهل كما أن التوحيد أعدل العدل . ولهذا فإن الله – تبارك وتعالى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .وقال أيضاً ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾

وقال أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

أيها الأخوة الشرك ثلاثة أنواع :

الشرك الأكبر . والشرك الأصغر . و الشرك الخفي

– الشرك الأكبر :–هو عدم إفراد الله ﷻ بالنسك أو الشعائر التعبدية وكذلك عدم إفراده بالحكم والتشريع وكذلك عدم إفراده بالولاية والحب.

وللشرك الأكبر أنواع : شرك الدعوة ، وهو شرك الدعاء . وشرك الإرادة . وهى النية والقصد .
وشرك الطاعة .أي الطاعة في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله .
و شرك الحب والموالاة . وشرك الخوف .إذا خفت من المخلوق مما لا يقدر عليه المخلوق .
وشرك التوكل . إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله
و شرك التشريع .
وسيأتي إن شاء الله شرح واف لهذه الأنواع في الدروس القادمة .

النوع الثاني من الشرك ، الشرك الأصغر : وهو كيسير الرياء ، والحلف بغير الله ، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : " من حلف بغير الله فقد أشرك "( الترمذي )

وكذلك قول : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا . فهذه الأقوال كلها من الشرك الأصغر .

وكذلك كل قول أو عمل أو اعتقاد كان وسيلة إلى الشرك الأكبر ما لم يبلغ الشرك الأكبر فهو شرك أصغر .

النوع الثالث من الشرك : الشرك الخفي . وبعض العلماء يدخله بالشرك الأصغر .

الشرك الخفي : هو الشرك الذي لا يحس فيه الشخص .

فقد جاء في صحيح أبي حاتم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : " الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل " فقال أبو بكر يا رسول الله كيف ننجوا منه وهو أخفى من دبيب النمل فقال : " ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجُله قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم "

الشرك الأكبر يخرج من الملة وأما الشرك الأصغر فلا يخرج من الملة ولكنه أكبر من الكبائر .

قول المصنف رحمه الله : " ولا مَلَكٌ مُقَرَّب " **:"الملك مفرد** ملائكة ، مأخوذ من**" الأَلوكة "وهي : الرسالة .**

والملائكة **:**عباد ُالله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وكما جاء في الحديث الصحيح أنهم خلقوا من نور . فالإنس مخلوقون من التراب، والجان مخلوقون من النار والملائكة من النور . وإبليس عليه اللعنة من الجن ولم يكن من الملائكة .

قول المصنف رحمه الله : ( ولا نبي مرسل) يقتضي أنه هناك فرق بين النبي والرسول . فليس كل نبي رسول ، بينما كل رسول نبي . فدرجة الرسالة أرفع من درجة النبوة .

الرسول .. لغة : المرسل أي المبعوث .

اصطلاحاً : من بعثه الله إلى قوم كفار وجاءهم بشرع جديد ، ولا يلزم من كونه رسولاً أن ينزل عليه كتاب ، بل قد يكون على كتاب من قبله ، فإسماعيل عليه السلام ، رسول ، وهو على شريعة أبيه إبراهيم .

قولنا : أتى بشرع جديد : أي جديد على الكفار وإن كان موجوداً عند آخرين .

والنبي .. لغة : مأخوذ من النبأ ومأخوذ من الارتفاع .

الفرق المشهور بين النبي والرسول : هو أن النبي من بعث بشرع ولم يؤمر بإبلاغه ، والرسول من أوحي إليه شرعٌ وأمر بإبلاغه ، ولكن هذا الفرق فيه نظر فهو غير دقيق لعدة أسباب :

منها : قوله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... ﴾ ،فهذه الآية تبين أن النبي داخل في من أرسلهم الله للناس ، ومن لوازم ذلك أن يرسل إلى قوم ويبلغهم ما أرسل به ، فكيف يقال : أن النبي : لم يؤمر بإبلاغ ما أرسل به من شرع ؟

أما السبب الثاني الذي يبين خطأ هذا التعريف : ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " عرضت علي الأممُ فرأيت النبيَ ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبيَ وليس معه أحد "(مسلم) وهذا دليل على أن الأنبياء مبعوثون للبلاغ وأن من أطاعهم وصدقهم فهو معهم ، ومن عصاهم وكذبهم فقد خاب وخسر . فكيف يقال : لم يؤمر بإبلاغ ما أرسل به من شرع ؟

وأما السبب الثالث الذي يبين خطأ هذا التعريف هو : أن المقصود الأعظم من الوحي هداية الناس وإرشادُهم ودلالتهم إلى الصراط المستقيم ، وما الفائدة من وحي لم يؤمر بإبلاغه من أوحي إليه ، مع أن الناس في زمنه محتاجون لما معه أشد من حاجتهم للطعام والشراب ، فكيف لا يُلزم بإبلاغه مع شدةِ الحاجةِ وكثرة المخالفة .

وأما السبب الرابع الذي يبين خطأ هذا التعريف : فهو أن الواجب على أهل العلم إبلاغُ الشريعة وتعليمُ الجاهل وإرشادُ الضال وإفتاءُ السائل ، وقد تُوعدوا بالوعيد العظيم على كتم شيء من ذلك ، فإذا كان هذا هو الواجب في حق أهل العلم فكيف لا يكون واجباً في حق الأنبياء وهم أفضل وأكمل من أهل العلم ، بل هم سادات أهل العلم قال تعالى :﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

يتبين من هذه الأسباب أن القول المشهور الذي يبين الفرق بين الرسولِ والنبي ليس دقيقاً ، ومجرد شهرته ليست بدليل على صحته .بل الصحيح أن النبي أوحي إليه وأمر بالتبليغ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فهذه الآية تبين أن النبي يبعث ويأمر بالتبليغ.

وقال رسول الله ﷺ : " أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ثم قال : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة . " ( متفق عليه )

نستطيع أن نقول أن الفرق بين الرسول والنبي يكون من وجهين :

- من جهة المرسل إليهم . فالرسول مرسل إلى الكفار ، والنبي إلى المؤمنين .
- من جهة الشرع . فالرسول أتى بشرع جديد والنبي على شريعة من قبله.

إذا : الرسول : هو من أرسل إلى الكفار بشرع جديد .

والنبي : من أرسل إلى المؤمنين بشريعة من قبله .

قول المصنف رحمه الله : والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ ) : المساجد :مواضع الصلاة، سواء كانت مبنية، أو أرضاً لا بناء فيها،

قال رسول الله ﷺ : وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " ( متفق عليه )

وسميت مساجد لأنها مواضع السجود ، والسجود أشرف أركان الصلاة وأعظمُها. وكما أن المصلي لا يصلي إلا لله، فكذلك يجب عليه أن لا يسأل ولا يدعو إلا الله جل وعلا ولا يحكم ولا يتحاكم إلا لشرع الله .. ويجب عليه أن لا يعبد غير الله بالمعنى العام للعبادة .

(فَلَا تَدْعُوا) دعاء مسألة ، ودعاء عبادة مع الله أحدا. لأن "تدعو " أعم من قولنا تعبد ، فمنع الدعاء ، والدعاء ينقسم إلى قسمين : دعاء عبادة . ودعاء مسألة .

دعاء العبادة : هو العبادة نفسُها؛ لأن المتعبِد لله بصلاةٍ أو بذكر هو سائل لله جل وعلا، لأنه إنما عبد أو صلى ، أو صام ، أو زكى ، أو ذكر ، أو تلا ، رغبةً في الأجر ، كأنه سأل الله جل وعلا الثواب .

لو سئلت لماذا تصلى لقلت لكي يغفر الله لي .. إذاً الصلاة هي دعاء الله المغفرة ، كأنك قلت اللهم اغفر لي ، فهي دعاء عملي .

– أما دعاء المسألة : فهو الذي يسميه العامّة الدعاء ، إذا قيل دعا فلان يعني سأل ربه . مثل : اللهم ارزقني ، اللهم اغفر لي ، اللهم اشفني ،. ونحو ذلك ، هذا يسمى دعاء المسألة.

وكلاهما محرم صرفه لغير الله جل وعلا وهو شرك أكبر .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

قال في أول الآية (ادْعُونِي)، وقال في آخرها (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) فدل على أن الدعاء عبادة ، أو هو العبادة .

(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (أَسْتَجِبْ لكم ) يعني أعطكم ما سألتم إذا دعوتموني دعاء مسألة ، أو أُثِبْكُم إذا دعوتموني دعاء عبادة .

الله جل وعلا لا يرضى أن يشرك معه أحد مهما كانت مرتبته عنده ، قد يُظن أن المخلوق إذا بلغ عند الله درجة رفيعة ، ممكن أن يتخذ واسطة يتقرب بها إلى الله لقضاء الحوائج عنده ، وأعلى المخلوقات مقاماً عند الخلق الملائكة والرسل والأنبياء ، لهذا نفى الشيخ رحمه الله تعالى هذا الظن فقال: (الله جل وعلا لا يرضى أن يشرك معه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل) ، (لا ملك مقرب) حتى ولو كان جبريل الذي هو سيد الملائكة وأشرفهم وأعظمهم. (ولا نبي مرسل) حتى النبي عليه الصلاة والسلام. فحتى هؤلاء على علو مكانتهم عند الله لا يجوز أن يتخذوا وسائط بين الله وخلقه ،لا يجوز أن يشركوا مع الله بأن يدعوا دعاء عبادة أو دعاء مسألة . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ، (أَحَدًا) نكرة جاءت في سياق النفي، وقد تقرر أن النكرات إذا أتت في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، فإنها تَعُم. قال تعالى : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) يدخل في (أَحَدًا) الملائكة، ويدخل فيه الأنبياء ، وكل ما عدا الله .

هذا الأصل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمه علما يقينيا لاشك فيه ولا شبهة ، فيجب على المسلم أن لا يعبد غير الله في أي مسألة كانت .

ومع الأسف اليوم تفهم العبادة بأنها الشعائر التعبدية فقط . وهذا فهم قاصر ، فالعبادة أعم من ذلك وأشمل ، فهي تشمل كلَ مجالات الحياة إذا خلصت النية .

فالعبادة كما عرفها ابن تيمية رحمه الله : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ويتضمن ذلك كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمال الحب لله تعالى .

قول المصنف رحمه الله : الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ.

المسألة الثالثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها هي: أن من وحد الله وأطاع الرسول واتبع دين الإسلام لا يجوز له أن يوالي من حاد اللهَ ورسولَه، ولو كان أقرب قريب، لا يجوز له أن يوالي من حاد الله ورسوله ، ولو كان ذلك أباه أو أمه أو أخاه أو أخته أو قريبه.

وهذه المسألة من أعظم قواعد الدين؛ لتضمنها قاعدة" :الولاء والبراء."

قال الشيخ المصنف رحمه الله في بعض رسائله " :وأصل الدين وقاعدتُه أمران؛ الأول :الأمر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والمولاة فيه وتكفير من تركه)

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وقال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وقال جل وعلا ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

فمن أصل الدين والذي هو من معنى كلمةِ التوحيد ، الولاء والبراء ؛ الولاء للمؤمنين وللإيمان، والبراءة من المشركين والشرك.

فالإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾

قول المصنف رحمه الله : ( لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ)

(الموالاة) معناها أن تتخذه وليا، وأصلها من الوَلاية ، والوَلاية هي المحبة، قال الله تعالى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ، يعني هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق ، فأصل الموالاة المحبة والمودة ، ولهذا استدل المصنف رحمه بقوله

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ ، ففسَّر الموالاة بأنها المُوادّة ، وهذا يعني أن أصل الموالاة في القلب ، وهو محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر .

فمن أصل الدين أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد ، ويحب أهلها، ويُبغض الشرك المناقض لهذه الكلمة ، ويبغض أهله . فكلمة الولاء والبراء هي معنى الموالاة والمعاداة ، وهي بمعنى الحب والبغض ، فقولنا : الولاءُ والبراءُ في الله : يعنى الحب والبُغض في الله، يعني الموالاة والمعاداة في الله ؛ ثلاثة بمعنىً واحد ، إذا أحب القلبُ اللهَ صار مواليا لله وبغِض الشرك وأهله ، إذا أحب القلبُ الرسولَ صار وليا ومواليا للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإذا أحب القلبُ المؤمنين صار مواليا ووليا للمؤمنين ، كذلك إذا أحب القلبُ الإيمان صار مواليا للإيمان ، وإذا أحبَّ القلبُ الشركَ صار مواليا للشرك، إذا أحب القلبُ أهل الشرك صار مواليا لأهل الشرك، ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يعني من يحب وينصرَ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

فعدم تولي الكافرين وتكفيرهم والبراءة منهم ومن كفرهم من أصل الدين الذي لا يصح الدينُ إلا به ، وهي ملة إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾

أيها الأخوة : الموالاة باسمها العام تنقسم : إلى التولي وإلى الموالاة.

أما التولِّي فهو محبة الشرك وأهل الشرك ، محبة الكفر وأهل الكفر ، أو نصرةُ الكفار والمشركين على أهل الإيمان ، قاصداً ظهور الكفر على الإسلام ، بهذا الضابط يتضح معنى التولي . وتولي الكفارَ والمشركينَ بهذا المعنى ، كفر أكبر يخرج من الملة . وهو الذي جاء في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

أما الموالاة: موالاة المشركين والكفار فهي محرمة وكبيرة من الكبائر ، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك إذا وصلت لدرجة التولي . والموالاة المحرّمة من جنس محبةِ المشركين والكفار لأجل منفعة دنيوية ، ويجب أن لا يكون معها نصرة له على المسلمين ، لأنه إذا كان معها نصرة على مسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار تولياً ، وهذا كفر مخرِج من الملة ، فإن أحب المشرك والكافر لأجل الدنيا ، لأجل منفعة دنيوية يستفيدها منه ، فهذا حرام ومعصية، وليس كفراً ، لأنه لم يحب الكافر أو المشرك بل أحب المنفعة التي ستحصل منه ؛ ودليل ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية أثبت أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودةَ لهم . وقد جاء في الصحيحين ، وفي التفسير في قصة حاطب المعروفة حيث إنه أرسل بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين لكي يأخذوا حِذْرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كُشِفَ الأمر، قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ : يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق. قال النبي ﷺ لعمر: أتركه يا عمر، يا حاطب ما حملك على هذا؟ فدل سؤال رسول الله ﷺ على اعتبار القصد ؛ لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام ، وظهور المشركين على المسلمين ، فهذا

يكون نفاقاً أكبراً وكفراً أكبر ، وإن كان له مقصد آخر فله حكمه. قال له رسول الله ﷺ –مستبينا الأمر– ما حملك يا حاطب على هذا ؟ قال: يا رسول الله والله ما حملني على هذا محبةُ الشرك وكراهةُ الإسلام ، ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة، وليس لي يدٌ أحمي بها مالي في مكة، فأردتُ أن يكون لي بذلك يد أحمي بها مالي في مكة. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «صدق لا تقولوا له إلا خيراً»..

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره هذه الآية : " وذكر أن حاطبا لما سمع " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان.

وقال القرطبي رحمه الله أيضا : قوله تعالى: " تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ " يعني بالظاهر ؛ لأن قلب حاطب كان سليما؛ بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: (أما صاحبكم فقد صدق) وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده." تفسير القرطبي "

الله جل وعلا قال في بيان ما فعل حاطب ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ، يعني حاطباً، ففِعْلُه ضلال. وما منع النبي عليه الصلاة والسلام عمر من قتله إلا لأنه لم يخرج من الإسلام بما فعل ولأنه من أصحاب بدر عفي عنه . ولهذا جاء في رواية أخرى قال: إن الله اطلع على أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم لقد غَفَرْتُ لكم. لعلمه جل وعلا بأنهم يموتون على الإسلام .

دلت هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ، مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب، أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان ؛ لأن الله ناداهم باسم الإيمان، فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) مع إثباته جل وعلا أنهم ألقوا المودة.

ولهذا استفاد العلماء من هذه الآية ، ومن آية سورة المائدة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، ومن آية المجادلة التي ساقها المصنف رحمه الله ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ، إلى أنَّ الموالاة تنقسم إلى تولٍّ وموالاة؛ الموالاة بالاسم العام منه تولي وهو المُكَفِّر بالضابط الذي ذكرتُه لكم، ومنه موالاة ، وهو نوع مودة لأجل الدنيا .

والواجب أن يكون المؤمن محباً لله جل وعلا ولرسوله وللمؤمنين، وأن لا يكون في قلبه أي مودة للكفار ولو كانت للأمور الدنيوية .

## الدرس الثالث

قال المصنف رحمه الله : "اعلَمْ –أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه– أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلقَهم لها، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومعنى (يَعْبُدُونِ) يوحِّدون وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيد وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشرك ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ والدليل قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].

قوله رحمه الله : (اعلَمْ –أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه) أي اعلم هداك الله إلى الطريق المستقيم ووفقك لما ينفعك في الدنيا والآخرة .

(أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه ) ( أرشدك ) الرشد هو ضد الغي وهو : الاستقامة على الطريق الحق .

(أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه ) ( لطاعته ) الطاعة : هي : فعل المأمور وترك المحظور .

قوله : ("اعلَمْ –أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه– أنَّ الحنيفيةَ) الحنيفية : هي الملة المائلة عن الشرك ، المبنية على الإخلاص لله عز وجل .

والحنيف : مشتق من الحَنف ، وهو الميل . فالحنيف : المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد. أي الذي أقبل على الله ، وأعرض عما سواه ، وأخلص له العبادة ؛ كجميع الأنبياء وأتباعهم .

والحنيفية هي : ملة إبراهيم ، وملة الأنبياء كلهم ، وهي أن تعبد الله مخلصا له الدين ، فهي الإخلاص لله وموالاته ، وترك جميع أنواع الشرك . ، وهي التي قال الله فيها لنبيه ﷺ : { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } .

قوله رحمه الله : (مِلَّةَ إبراهيمَ) : أي أن الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام . وملة إبراهيم عليه السلام هي التوحيد الخالص الذي يقتضي البراءة من الشرك وأهله .

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل١٢٠)

وكما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ.إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[الزخرف:٢٦-٢٧]، قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) نفي : وهي : البراءة من الشرك وأهله

قوله : (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) إثبات ، أي أنني عابد فقط للذي فطرني وحده لا أشرك به شيئا ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد ، ولهذا قال جل وعلا بعدها ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٨]، والكلمة الباقية هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله . المشتملة على نفي الشرك بجميع أنواعه وإثبات العبادة لله وحده .

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أن الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام بين ما هي الحنيفية ، وما هي ملة إبراهيم فقال رحمه الله : (أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين) : أي أن الحنيفية والتي هي ملة إبراهيم وجميعِ الأنبياء كذلك ، هي : إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده لا شريك له . والبراءة من جميع أنواع الشرك وأهله وتكفيرهم وتكفير من لا يكفرهم .

فالعبادة لغة : تعني التذلل والخضوع والطاعة والدينونة ، ومنه الطريق المعبد إذا كان مذلل بكثرة الوطء .

أما العبادة بالمعنى الشرعي : فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ويتضمن ذلك كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمالِ الحب لله تعالى .

وإفراد الله بالعبادة يقتضي إفراده : بالنسك أو الشعائر التعبدية وكذلك إفراده بالحكم والتشريع وكذلك إفراده بالولاية.

فالعبادة أيها الأخوة : شاملة لجميع جوانب ومجالات الحياة الإنسانية ، فأي قول أو عمل أو اعتقاد يرضي الله تعالى ويتقرب به إليه فهو داخل في مسمى العبادة ، والعبادة تطاله وتشمله . وبالتالي فإن العبد عندما يطالب بعبادة الله تعالى وحده ، فهو يراد منه هذا المعنى العام لمعنى العبادة : عبادته تعالى وحده في الركوع والسجود والخضوع ، وعبادته أيضا في الصوم والحج والنذر والنسك ، وعبادته أيضا في الحب والكره ، وعبادته أيضا في الجهاد والتضحية ، وعبادته أيضا في الخشية والتوكل ، وعبادته أيضا في الدعاء والإنابة والرجاء ، وعبادته في الطاعة والانقياد والاتباع والحكم والتحاكم ، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعاً.

وهذا معنى قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ( الذاريات : ٥٦ )

وأيضا هذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ( النحل:٣٦).

وأيضا معنى قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (النساء :٣٦)

وأيضا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٤٠ )

والأمر هنا بعبادة الله في هذه الآيات وغيرها يجب أن يفهم منه المعنى العام للعبادة كما بينتها ، وليس كما يفهمه الناس اليوم أنها مجرد الشعائر التعبدية .

والعبادة أيها الأخوة لا تسمى عبادة ولا تنفع صاحبها عند الله إلا إذا كانت خالصة لله ليس فيها شرك ولا رياء ولا سمعة .

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة :٥)

فهذه الآية تبين أن الله ﷻ قد أمر جميع الناس في جميع الشرائع التي جاءت بها الرسل أن يعبدوه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وأخبر أن ذلك هو :دين الْقَيِّمَة .أي :الدين المستقيمة التي لا عوج فيها؛ سبيل الله القويم وصراطه المستقيم .

قوله رحمه الله : (وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها ) : أي : أمر الله جميع الناس بأن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يجتنبوا جميع أنواع الشرك ، أمرهم بالإخلاص لله في كل شي ، وخلقهم لهذا ، أمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم ، وصومهم ، ودعائهم ، وخوفهم ، ورجائهم ، وذبحهم ، ونذرهم ، وأمرهم أن يعبدوه وحده في تحاكمهم عند الخلاف ، أمرهم أن يعبدوه في تجارتهم وسياستهم وعلاقتهم مع بعضهم البعض ، وذلك بان يلتزموا أوامره ونواهيه .

أيها الأخوة  فليس حنيفا موحدا ولا على ملة إبراهيم من طبق شرع الله في الصلاة والصيام والحج وباقي الشعائر التعبدية ثم طبق القوانين الوضعية الوضيعة  في التجارة والسياسة والاقتصاد وباقي شؤون الحياة .

ليس موحداً من وحد الله في الصلاة والصيام والحج وباقي الشعائر التعبدية ثم في التجارة أو السياسة أو الاقتصاد أوباقي شؤون الحياة تحاكم إلى القوانين الوضعية الوضيعة ، ليس موحدا ولا على ملة إبراهيم من صلى وصام وحج لله وحده ثم بعد ذلك أقسم اليمين أن يطيع القوانين الوضعية الوضيعة التي أمره الله أن يكفر بها ويردها  مهما كانت نيته ومهما كان قصده .

وهذا معنى موجود في آيات كثيرة في القرآن وعلى سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنّنِي هَدَانِي رَبّيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مّلّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٢، ١٦٣)  فهذه الآية تبين كما أن النسك والشعائر التعبدية لله وحده ، كذلك بقية شؤون الحياة  فهي كلها لله تعالى وحده ، حتى الممات يجب أن يكون لله وفي الله وليس للوطن أو لأوثان نصبت في زماننا – فتنت الناس عن دينها – ما أنزل الله بها من سلطان .

فالعبادة التي خلق الله لها الثقلين هي : إفراده : بالنسك أو الشعائر التعبدية  وإفراده بالحكم والتشريع

وكذلك أفراده بالتحاكم وكذلك إفراده  بالولاية .

وهي أول الواجبات على كل مكلف عاقل بالغ  وهي حق الله المقدم على سائر الحقوق .

كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ }

وكما بين رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ حينما سأله معلماً  : ( يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟  قلت ( أي معاذ ) : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً )

رواه أحمد بن حنبل وغيره بسند صحيح

وهذه العبادة بمعناها العام واجبة على الإنسان من حين يبلغ سن التكليف إلى أن يموت .

كما قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾  (النحل : ٩٩)

ومن لا يخلص العبادة لله وحده بالمعنى العام للعبادة فهو يعبد الشيطان  .

من لا يعبد الله يعبد الشيطان .

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (يس : ٦٠–٦١)

ومن لا يعبد الله بهذا الشكل فهو عبد لدنياه .

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش).

قوله رحمه الله :" كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذرايات:٥٦]، ومعنى (يَعْبُدُونِ) يوحّدون ."

استدل المصنف رحمه الله بقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذرايات:٥٦] وفسر يعبدون بيوحدون .

يعني يوحدوني في العبادة بالمعنى العام للعبادة ، ويخصوني بها ، بفعل الأوامر ، وترك النواهي .

أيها الأخوة : هذه الآية تدل أيضاً على أنه ليس فقط الإنس هم المكلفون بعبادة الله وحده بل أيضا الجن ، فالجن مكلفون بأوامر ونواهي ، فمن أطاع ﷺ وأدخله الجنة ، ومن عصى وتمرد فله النار .

والدليل على ذلك : قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام:١٣٠)

ففي هذه الآية دليل على بلوغ شرع الله الجن ، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم .

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ (الأعراف: ٣٨)

وقال تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود :١١٩).

فهذه الآيات تبين أن الجن سيعذبون بالنار إذا لم يطيعوا آمر الله .

والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة : قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ٤٦-٤٧)

والخطاب هنا للجن والإنس ، لأن الحديث في مطلع السورة فيهما .

قال ابن مفلح في كتابه الفروع : ( الجن مكلفون في الجملة إجماعاً ، يدخل كافرهم النار إجماعاً ، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي ...)

قوله رحمه الله : " وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيد وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة "

أعظم ما أمر الله به الإنس والجن على لسان رسله كلهم هو التوحيد ، هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة . فهو أعظم ما دعا إليه الرسل والأنبياء من نوح عليه السلام إلى نبينا مُحَّد عليه الصلاة والسلام .لأنه حق الله على العبيد . ولأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله .

وهذا معنى قوله تعالى : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (البقرة : ٢٥٦)

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥).

قوله رحمه الله : " وأعظمُ ما نَهى عنه الشرك ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ "

الشرك دعوة غير الله معه ، وقد قال سبحانه : { وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }

وقال سبحانه : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }

أعظم ما نهى الله عنه الشرك لأنه أظلم الظلم وأبطل الباطل فهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية، فهو أعظم ذنب عصي الله به ، وأي ذنب أعظم من أن يجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته .

قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وفي (الصحيحين) : أن النبي ـ ﷺ ـ سئل : أيُّ الذَّنْبِ أعظم ؟ قال : أنْ تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقك .

وكما أن أعظم ما دعت إليه الرسل هو التوحيد كذلك أعظم ما نهت عنه هو الشرك لأنهما متلازمان فلا توحيد بوجود أي نوع من أنواع الشرك الأكبر ، ولا يكون موحداً من وقع بأي نوع من أنواع الشرك الأكبر ، عرف ذلك أم لم يعرفه . والنهي عن الشرك يتضمن النهي عن الوقوع فيه ويتضمن تكفير من وقع فيه ويتضمن تكفير من لا يكّفر من وقع فيه ويتضمن تكفير من لا يُكفِّر من لا يكفرهما . فكل هذه متلازمات لا تنفك عن بعضها البعض .ومن لا يفهم هذه المتلازمات لا يفهم التوحيد ، ولا يفهم مقتضى التوحيد ، ولا يفهم كيفية الكفر بالطاغوت .

فقد قال تعالى : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (البقرة : ٢٥٦)

فالكفر بالطاغوت : يقتضي تكفيره والبراءة منه بجميع أنواعه وأشكاله ، ويقتضي أيضا تكفير من يعبده والبراءة منه ويقتضي أيضاً تكفير من لا يكفرهما والبراءة منه .

وهذا معنى قوله تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)(الممتحنة : ٤)

قوله رحمه الله " والدليل قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦]."

استدل المصنف رحمه الله على هذين الأمرين أعني :أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك بقوله تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) قوله : ( وَاعْبُدُواْ اللّهَ) {هذا أمر } وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئَاً {هذا نهي)

فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة بالمعنى العام . والشرك : هو دعوة غير الله مع الله . وهو عدم إفراد الله ﷻ بالنسك أو الشعائر التعبدية وكذلك عدم إفراده بالحكم والتشريع وكذلك عدم إفراده بالولاية والحب.هذا هو معنى الشرك . فهناك شرك النسك وهناك شرك التشريع وهناك شرك الولاية .وكلها منصوص عليها في كتاب الله .

قوله تعالى : (وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) فـ {شَيْئًا } : نكره في سياق النهي ، فتعم كل شيء .

أعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة بالمعنى العام . وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك بالله عز وجل . ولهذا كثر في القرآن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك .

## الدرس الرابع

قال المصنف رحمه الله :"فَإِذَا قِيلَ لَكَ مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟ فقُلْ معرفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم."

بدأ المصنف رحمه الله تعالى هنا في بيان الأصول الثلاثة التي من أجلها صنف هذه الرسالة ، وهذه الأصولُ الثلاثةُ تجمع الدينَ كلَّه ، وهي التي يسأل عنها العبد في قبره. من ربك ؟ وما دينك؟ ومن نبيك ؟

قوله رحمه الله :" فَإِذَا قِيلَ لَكَ " أي فإذا سألك سائل . والمصنف رحمه الله أورد هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن يتنبه الإنسان لها ، لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة .

قوله رحمه الله : " مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟ "

الأصول: جمع أصل ، وهو في اللغة :ما يبنى عليه غيره ، أو يتفرع عنه ؛ كالأساس أصل البناء والجذر أصل الشجرة الثابت في الأرض . .

قال تعالى: ( أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ) (إبراهيم:٢٤)

وفي الاصطلاح :أصول الدين ، قواعده وأسسه التي ينبني عليها.

وهذه الأصول الثلاثة الذي ذكرها المصنف رحمه الله ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وهي الأصول التي يُسأل عنها العبد في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة . وهذه الأصول هي : معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم.

فإن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أهله أتاه الملكان فأقعداه وسألاه هذه الأسئلة ؛ من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن كان مؤمنا قال : ربي الله وديني الإسلام ونبيي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم. وإن كان غير ذلك يقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال " الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ـ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ـ وَأَمَّا الْكَافِرُ ـ أَوِ الْمُنَافِقُ ـ فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ ".

وعن أبي هريرة قال قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " اِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - اَتَاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ يُقَالُ لاَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالاخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولاَنِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ اَشْهَدُ اَنْ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللَّهُ وَاَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولاَنِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ اَنَّكَ تَقُولُ هَذَا . ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ

سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ . فَيَقُولُ اَرْجِعُ اِلَى اَهْلِي فَاُخْبِرُهُمْ فَيَقُولاَنِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ اِلاَّ اَحَبُّ اَهْلِهِ اِلَيْهِ . حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . وَاِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لاَ اَدْرِي . فَيَقُولاَنِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ اَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ . فَيُقَالُ لِلاَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ . فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ . فَتَخْتَلِفُ فِيهَا اَضْلاَعُهُ فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ " رواه الترمذي حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

واستدل العلماء بهذه الأحاديث على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاث .

قوله رحمه الله : " فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فقلْ ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ "

هنا بدأ رحمه الله بشرح وتفصيل معنى الأصل الأول وهو (معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ) وجعل الشرح والتفصيل على شكل سؤال وجواب ، لأن هذا أوقع في النفس ، وأقرب إلى التعليم.

فقال رحمه الله : " فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ ؟ " أي فإذا سئلت: من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه ؟

والرب يطلق على المالك والسيد والمعبود، ولا تجتمع كلها إلا في الله عز وجل ، المخلوق قد يكون رباً بمعنى سيداً أو بمعنى مالك أو بمعنى مالك وسيد ، لكن لا يستحق صفة المعبود إلا الله وحده ؛ فهو المالك السيد المعبود الذي له الخلق والأمر شرعاً وقدراً وملكاً واستحقاقاً وتدبيراً وتصريفاً .

معرفة الرب تقتضي الإيمان به والإيمانَ بما يستحقه من العبادة الخالصة والأسماء الحسنى والصفات العلى . ولقد بدأ به المصنف رحمه الله لأنه أصل الأصول .

قوله رحمه الله : فقلْ ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ "

قوله رحمه الله : " فقلْ ربيَّ اللهُ " لفظ الله والإله من الأُلوهية - بمعنى العبادة ، فالمألوه هو المعبود . فقد روي عن ابن عباس ﷺ تفسير (الله ) : بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

فالربوبية إذا أطلقت ، أو إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية ؛ لأن الربوبية تستلزم الألوهية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، والألوهية تتضمن الربوبية . لأن الموحد لله جل وعلا في ألوهيته هو ضمنا مقر بأن الله جل وعلا هو واحد في ربوبيته ، ومن أيقن أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته استلزم ذلك أن يكون مقرا بأن الله جل وعلا واحد في استحقاق العبادة ، ولهذا تجد في القرآن كثير من الآيات فيها إلزام المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه وهو توحيد الإلهية، مثل قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ هذا توحيد الربوبية قال بعدها ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨] وهذا من توحيد الألوهية .

والدليل على أن الربوبية إذا أطلقت ، أو إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية قوله تعالى :

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١]، فأرباباً في الآية : يعني معبودين وهكذا فهمها عدي ابن حاتم لهذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نعبدهم. فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم «ألم يحلوا لكم الحرام فأحللتموه، ألم يحرموا عليكم الحلال فحرمتموه» قال: بلى. فقال: «فتلك عبادتهم».

قوله رحمه الله : "ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ "

يعني هو الذي رباني ورعاني وأمدني بالنعم كما ربى جميعَ العالمين بنعمه التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها . والتربية تدريج المربى في مصاعد الكمال بما يناسبه . وهناك أنواع كثيرة من التربية ؛ تربية الأجسام، ، تربية الفكر، تربية العقل، كل هذا قد من الله جل وعلا على ابن آدم به .

والعالمين :جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

قوله : (بنعمِهِ) النعم جمع نعمة .. ونعم الله على خلقة لا تحصى ، وبدونها لا يمكن وجود هذا المخلوق ، فلله نعمة الإيجاد ، ونعمة التغذية ، ونعمة الهداية ، ونعمة إرسال الرسل لتربية الغرائز والأفكار والعقول ، وسائر نعمه الظاهرة والباطنة . قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾

قوله رحمه الله : "وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ " أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ، ومحبةً وتعظيماً ، وهو وحده الذي أصرف له جميعَ أنواع العبادة وهو وحده الذي أتحاكم إلى شرعة وهو وحده الذي له الحق المطلق بأن يأمرني وينهاني .وهو وحده الذي له حق التشريع المطلق في كل شؤون حياتي .

قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... ﴾ .

وقال تعالى : ( ألا له الخلق والأمر )

وقال تعالى : ( إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم .. )

قوله : " ليس لي معبودٌ سواهُ " أي : لا أصرف لأحد غيره مهما كان أي نوع من أنواع العبادة . فلا أصرف أي شيء من الشعائر التعبدية إلا له ، ولا أتحاكم في كبيرة ولا صغيرة إلا لشرعه ولا أوالي وأعادي إلا له ولا أطع الطاعة المطلقة إلا له ولا أتوكل إلا عليه ، وبشكل عام لا أصرف أي نوع من أنواع العبادة مهما كانت لغيره مهما كان هذا الغير . فلا معبود لي سواه . وهذا هو تحقيق معنى " لا إله إلا الله." وهذا هو معنى قوله تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى "

قال المصنف رحمه الله : " والدليلُ قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

استدل رحمه الله بهذه الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

والحمد معناه الثناء بصفات الكمال .أي هو وحده المستحِق للثناء بجميع أنواع المحامد وصفات الكمال . لأن اللام هنا لام الاستحقاق .

وهناك فرق بين الحمد والشكر . فالحمد يكون على النعمة والمصيبة ، والشكر يكون على النعمة ، والحمد يكون باللسان فقط ، والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح .

(رَبِّ الْعَالَمِينَ) : (الْعَالَمِينَ) جمع عالَم، والعالم اسم لأجناس ما يُعلم ، وهو كل ما سوى الله جل وعلا

قال المصنف رحمه الله : " وكلُّ ما سِوَى اللهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ."

عالم : جمع عوالم ، وعالمون ، فالوجود قسمان : رب ، ومربوب

فالرب : هو المالك سبحانه المتفرد بالربوبية ، والإلهية . والتشريع .

والمربوب : هو العالَم ، وهو كل من سوى اللهِ من جميع الخلائق .

وأنا واحد من جملة تلك المخلوقات المربوبة المتعبدة .

قال المصنف رحمه الله : " فإذَا قيلَ لكَ بما عرفْتَ ربَّك؟ فقُل بآياتِه ومخلوقاتِه؛ ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِه السمواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما."

قوله رحمه الله " فإذَا قيلَ لكَ بما عرفْتَ ربَّك؟ فقُل بآياتِه ومخلوقاتِه"

أي : فإذا سألك سائل : بم استدللت به على معرفتك معبودِك وخالقِك ؟

فقل : بآياته ومخلوقاته التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلهية .

والآيات : جمع آية ، والآية : العلامة والدلالة والبرهان والحجة .

والمخلوقات : جمع مخلوق ، وهو ما أوجِد بعد العدم .

وآيات الرب سبحانه هي : دلالاته وبراهينه التي بها يعرفه العباد ، والتي بها يعرفون أسماءَه وصفاته ، والتي بها يعرفون توحيده وأمره ونهيه .

ومعرفة الله تكون بأسباب :

منها النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته ، وحكمته ، ورحمته .

ومن أسباب معرفة العبد ربه أيضا النظر في آياته الشرعية ، وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها ، فإذا نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل .

قوله رحمه الله : " ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِه السمواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما."

يعرف رب العالمين بآياته ومخلوقاته ؛ ومن آياته : الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، ومن مخلوقاته : السماوات السبع ، ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما .

آيات الله تعالى نوعان : كونية وشرعية ، فالكونية هي المخلوقات ، والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسله. فالله عز وجل يُعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل ، والاشتمالِ على المصالح ، ودفع المفاسد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال المصنف رحمه الله : والدليلُ قولُه تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧]، وقولُهُ تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

قوله رحمه الله : "والدليلُ قولُه تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

أي من العلامات البينة الدالة على خالقها الليل والنهار في ذاتهما واختلافهما ، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم ، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم . فكل هذا يدل على الخالق الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء .

قوله تعالى : (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ )

يعني لا تعبدوا هذه المخلوقات ، بل اعبدوا الذي خلقها وأوجدها سبحانه وتعالى ، فهو المستحق بأن يذل له العبد ويخضع له ، ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه ، تعظيما وتقديسا له ؛ وخوفا منه ، ورغبة فيما عنده .

ففي هذه الآية نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونها مخلوقين ، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن .

قول المصنف رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ( الأعراف : ٥٤)

فهذه الآية الكريمة تبين أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها بلحظة ، ولكنه ربط المسبَبَات بأسبابها كما تقتضيه حكمته . ثم استوى على العرش كما يليق بجلاله وعظمته . وأنه سبحانه يغشي الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار ، أي غطاء له فهو كالثوب يُسْدَل على ضوء النهار فيغطيه. وأنه سبحانه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد. فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على أنه وحده المستحق للعبادة .

قوله : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ أي فكما أنه له الخلق وحده لا ينازعه به أحد كذلك له وحده حق التشريع والتحليل والتحريم فلا يقبل سبحانه أن يشاركه به أحد .

قال المصنف رحمه الله : " والرَّبُّ هو المعبودُ، والدليلُ قولُه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢]، قالَ ابنُ كثيرٍ رحمَهُ اللهُ تعالى: الخالقُ لهذهِ الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ."

قوله رحمه الله : " والرَّبُّ هو المعبودُ "

معنى كلمة الرب في أصل اللغة : مشتقة من التربية ، وهي إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ ، فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

وتطلق كلمة الرب على المالك والمصلح .

وتطلق على المعبود ، أي هو الذي يستحق أن يعبد ، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة .

قوله رحمه الله : "الدليلُ قولُه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "

أي من الأدلة على أن الله هو وحده المستحق للعبادة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "

النداء في هذه الآية موجه لجميع الناس من بني آدم فقد أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له. وبين لهم أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له. فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً على المخلوقين أن يعبدوه وحده حتى يحصلوا على التقوى .

والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره واجتناب نواهيه.

فمعنا هذه الآيات هو : لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم ، وخلق الذين من قبلكم ، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله ، أو تحبونها كما تحبون الله ، فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً .

قوله : ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ  تَعْلَمُونَ ﴾ أي فكيف وأنتم  تعلمون أن الله وحده هو الذي خلقكم وخلق جميع الخلق وهو الذي خلق الأرض والسماء وهو الذي رزقكم ومع ذلك تجعلون له شريكاً في العبادة .

يعني هنا : استدل بتوحيد الربوبية الذي يقرون به على توحيد الألوهية يعني توحيد العبادة . وهذا في القرآن كثير .

قوله رحمه الله : قالَ ابنُ كثيرٍ رحِمَهُ اللهُ تعالى: الخالقُ لهذهِ الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ."

أي ولهذه الآيات وغيرها قال أبن كثير رحمه الله : الخالق لهذه الأشياء من سماء وأرض وثمار وأشجار ومطر وغير ذلك : هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى ، و هو المستحق بأن يطاع ؛ لأنه رب الجميع ، وخالق الجميع .

الدرس الخامس

يقول المصنف رحمه الله : وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى. والدليلُ قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]

قوله رحمه الله : وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها .

لما تقرر أن الرب هو المعبود ، كان من المناسب أن تذكر أنواع العبادة التي يعبد الله جل وعلا بها، والتي يجب إفراد الله سبحانه وتعالى بها. ولقد مر في الدروس السابقة تعريف العبادة من الناحية اللغوية والشرعية . وهنا أريد أن أزيد بعض الأمور للإستفادة .

العبادة من الناحية الشرعية عُرِّفت بعدة تعريفات : فقد عرفها الأصوليون في كتبهم بأنها

" كلُّ ما أُمِرَ به مِنْ غير اقتضاءٍ عقليّ ولا اطِّرادٍ عرفيّ ." معنى ذلك أن الشيء الذي أمر به الشرع من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به ، ومن غير أن يطَّرد به عرف ، هذا يسمى عبادة .

ولقد عرف الإمام ابن تيمية رحمه الله العبادة بتعريف سهل جامع فقال : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

معنى هذا التعريف : العبادة اسم جامع : يعني يجمع أشياء كثيرة . فما هي هذه الأشياء ؟

لكل ما يحبه الله ويرضاه : أي جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه .

كيف نستطيع أن نعرف أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه ؟

نعرف ذلك : بأمر الله وخبره وخبرِ رسوله ﷺ .

قوله : من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

معنى هذا الكلام أن العبادة تنقسم إلى عبادة قولية وعبادة عملية وهذه العبادة القولية أو العملية إما أن تكونَ ظاهرة وإما أن تكون باطنة .فالقول إما أن يكون باللسان أو بالجنان وكذلك العمل إما أن يكون عمل القلب أو عمل الجوارح .

مثال قول اللسان : الدعاء ، الذكر ، التلاوة ، كلمة المعروف .

ومثال قول الجنان : النية والقصد .

ومثال عمل الجوارح : الصلاة ، الاستغاثة ، الذبح ، النذر .

ومثال عمل القلب : الإخلاص ، التوكل ، الخوف ، الرغبة ، الرهبة ، الإنابة ، الخضوع ، الذل .

والعبادة بجميع أنواعها لا تصلح إلا لله جل وعلا فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك

قوله رحمه الله : مثلُ الإسلامِ ، والإيمانِ، والإحسانِ .

أي ومن العبادة الإسلام والإيمان والإحسان .وسيأتي بيان هذه الأمور بالدروس القادمة إن شاء الله .

قوله : ومنهُ الدعاء . أي ومن العبادة التي أمر الله بها الدعاء

الدعاء نوعان :دعاء عبادة ودعاء مسألة.

دعاء العبادة : مثل الصلاة ، الصوم وما شابه . لو سُئلت لماذا تصلى لقلت لكي يغفر اللهُ لي .. إذن الصلاة هي دعاء الله المغفرة ، كأنك قلت اللهم اغفر لي . فهي دعاء عملي . وكذلك الصوم .

النوع الثاني من الدعاء هو دعاء المسألة : وهو سؤال العبد ربه جلب الخير ودفع الشر . مثل قولك : يا الله وفقني .

دعاء العبادة صرفه لغير الله شرك ولكن دعاء المسألة فيه تفصيل : فإذا سأل المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر مثل : لو دعا الميت أن يتوسط له ليرزقه الله ولداً أو أن يعافيه من المرض أو يدفع عنه الشرور فهذا شرك أكبر .. أما لو سأل المخلوق الحي ما يقدر عليه كما لو طلب منه قرضاً أو أي مساعدة يقدر عليها فهو جائز لأنه يقدر عليه .

قوله : والخوف .

أي ومن العبادة الخوف وهو :شدة الخشية والحذر .

الخوف من الله تعالى عبادة . وليس كل أنواع الخوف من غير الله شرك .

فإذا خفت من المخلوق مما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر ، مثاله " تخاف من إنسان أو جن أن يقطعوا نسلك " وهذا لا يقدر عليه إلا الله ، " تخاف أن يصيبك بالفقر أو العاهات الخلقية" هذا كله شرك أكبر لأنها أشياء لا يقدر عليها إلا الله .

وكذلك الخوف من الجمادات والأموات مطلقاً أن يصيبوه بمكروه ، حتى ولو كان هذا المكروه يقدر عليه الميت لو كان حياً مثل " أن تخاف أن يضربك " فهذا شرك أكبر لأنك خفت منه ما لا يقدر عليه .

وكذلك أن تخاف من مخلوق فيؤدي خوفك منه إلى أن تعمل له عبادة كأن تذبح له ،كالخوف من شر الجن ، فتذبح لهم إذا سكنت بيتاً خوفاً أن يؤذوك فهذا شرك أكبر .

ويكون الخوف شركاً أصغر : مثل أن يؤدي خوفك من شخص إلى ترك واجب أو فعل محرم . كمن حلق لحيته خوفاً من انتقاد الناس ، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من السخرية ، فهذا شرك أصغر .

وهناك خوف طبيعي جائز ولا شيء فيه . كالخوف من اللص أو من حيوان مفترس .

قوله : والرجاء .

أي ومن العبادة الرجاء : وهو وصف قائم في القلب يؤدي إلى التوقع والأمل والطمع .

ويكون الرجاء توحيداً إذا تعلق أمل العبد بالله وحده .

أما متى يكون الرجاء شركاً – ففيه أحوال :

– إذا توقع وطمع من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله مثل ( التوقع من المخلوق النصر أو التوقع منه الولد أو الشفاء والسلامة ) فهذا شرك أكبر وكذلك أن يتوقع من الجمادات والأموات الخير ولو كانوا يقدرون عليه لو كانوا أحياء فهذا شرك أكبر .

– أن يرجو ويتوقع من المخلوق ما يقدر عليه مع الاعتماد عليه . مثل أن يعتمد عليه أن يعطيه مالاً بحيث يكون واثق بأنه سيعطيه ، أو أن يطمع في مهارة الطبيب ، فيثق بحصول الشفاء فهذا من الشرك الأصغر .

وكذلك أن يطمع ويتوقع ويرجو الشفاء والخير من الله لكن بوسيلة محرمة كمن لبس حلقة أو خيطاً على أن تكون سبباً للشفاء فهذا من الشرك الأصغر .

قوله : والتوكل

أي ومن العبادة التوكل : التوكل لغة : التفويض .

وشرعاً : الاعتماد على الله لجلب الخير ودفع الشر .

ويكون التوكل توحيداً إذا اعتمد وفوّض أمره إلى الله وحده .

ويكون التوكل شركاً أكبراً في الحالات التالية :

– إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كالذي يعتمد على المخلوق في نزول المطر وحصول الرزق أو النسل أو اعتمد عليه في الشفاء والسلامة من الأمراض . وهذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله وهي شرك أكبر .

– الاعتماد على الأموات والجمادات . كأن يثق بأن هذا الميت سوف يعطيه أو يدفع عنه المكروه ، وهذا شرك أكبر .

ويكون التوكل شركاً أصغر إذا اعتمد على الأسباب .

مثل أن يعتمد على مهارة الطبيب في نجاح العملية ، ومثل الثقة بكثرة الجيش في حصول النصر ، ومثل الاعتماد على المذاكرة في النجاح ، وهذه ظاهرة متفشية عند المسلمين بأن يعتمد على الأسباب .

وهناك فرق بين الارتياح للأسباب والاعتماد على الأسباب ، فلو أن شخصاً أصلح سيارته وأعدها إعداداً جيداً للسفر ثم شعر بالارتياح فهذا لا شيء فيه ، أما لو وثق بأن سوف لا يصيبه شيء لأن السيارة سليمة وجيدة فهذا من الاعتماد على الأسباب.

قوله : والرغبة

أي ومن العبادة الرغبة : وهي السعة ، يقال رغب الشيء أي اتسع . فعلى هذا هي الإرادة الواسعة والقوية ، وتأتي بمعنى الحرص وهو الإرادة القوية وتأتي بمعنى العطاء الكثير ، فإذا كانت في الدعاء فالرغبة فيه إطالته وكثرته والسعة فيه ويسمى دعاء رغبة والإطالة في العبادة تسمى عبادة رغبة .

فكثرة الإقبال على الله وسعة الإقبال على الله دعاءاً وعملاً وعبادة يكون توحيداً .

والذي يكثر طلب حوائجه من الأموات والجمادات سواء فيما لا يقدر عليه إلا الله أو غير ذلك فقد ارتكب الشرك الأكبر .

أما لو كثر الإقبال على المخلوقين في طلب الحوائج المحبوبة وهم يقدرون عليها فإن اعتمد عليهم فهذا شرك أصغر وإن لم يعتمد عليهم فهذه من الأمور التي تنقص كمال التوحيد ولكن لا تدخل في الشرك .

قوله : والرهبة

أي ومن العبادة الرهبة : الرهبة لغة مأخوذة من الرهابة وهو العظم الذي على رأس المعدة فيقال جمل رهب إذا كان طويل العظام ، ويقال للعابد من النصارى راهب لأنه يطيل ويديم الخوف ، وعلى ذلك فالرهبة : الخوف الطويل والخوف الشديد .

والفرق بين الخوف والرهبة فرق زمني : فإذا اضطرب قلبك وقلقت فترة قصيرة هذا يسمى خوفاً أما لو طال الاضطراب والقلق وامتد فإنه يسمى رهبة . وهناك فرق آخر وهو أن الخوف توقع الضرر المحتمل الذي قد يقع وقد لا يقع ، ولذا إذا تذكرت أنه سيقع قلقت وإذا تذكرت أنه لا يقع اطمأننت . أما الرهبة : فهي توقع الضرر المتيقن به . ولذا يطول الخوف ، فالمحكوم عليه بالقتل يقيناً . هذا يسمى راهب لأن الضرر متيقن فتجده دائم الخوف حتى يقتل ، أما الذي لا يتوقع القتل في حقه فهذا يسمى خوفاً فقط .

وتكون الرهبة عبادة إذا طال الخوف من الله .

أما إذا طال الخوف من صاحب القبر مثلاً فهذا شرك أكبر .

فأنك إذا قلقت واضطربت من صاحب القبر أو من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذه عبادة خوف وهي من الشرك الأكبر . فإن قلقت واضطربت من صاحب القبر أو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مع تيقنك أن ضرره سيصل إليك فطال زمن خوفك منه فهذه عبادة رهبة وهي من الشرك الكبر .

قوله : والخشوع

أي ومن العبادة الخشوع : وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت. فيكون الخشوع بمعنى السكون والهدوء في القلب والجوارح وفي الصوت وفي النظر والمشي ، أي سكون الجوارح .

ويكون الخشوع عبادة : إذا وقف في الصلاة ساكناً هادئاً في الجوارح فإن هذا يسمى خشوعاً ، ولذا فالمصلي خاشع في الهيئة ، فإنه يقف في الصلاة مطأطئ الرأس ينظر إلى مكان سجوده وهذا خشوع ، وإذا مشى إلى الصلاة مشى بهدوء وهذا خشوع في المشي إلى الصلاة . وهذه كلها عبادة لله . أما إذا وقف أمام قبر أو شخص ، هادئ الحركات ساكن الجوارح كما يقف في الصلاة فهذا خشوع وإن لم يطلب منه شيئاً ، وهو من الشرك الأكبر ؛ ومثله لو

مشى إلى قبر ولي من الأولياء هادئ الجوارح ساكن القلب فهذه عبادة خشوع ، فالأصل في الخشوع عمل بالقلب وتدل عليه الجوارح .

قوله : والخَشية

أي ومن العبادة الخشية : وهي الخوف من الشخص ذاته ، فإذا خفت من شخص معين بغض النظر عن العقوبة التي سوف يوقعها بك فهذه تسمى خشية ، ولذا فهناك فرق بين الخوف والخشية ، فالخوف : هو القلق والاضطراب من العقوبة والمكروه ؛ والخشية : هي الخوف من الشخص ذاته ، فإذا أراد زيد أن يقتلك فاضطربت وقلقت من القتل هذا يسمى خوفاً ، أما لو خفت من زيد لذاته بغض النظر عن نوع العقوبة فهذه هي الخشية .

وتكون الخشية توحيداً إذا تعلقت خشيتك بالله .

وتكون الخشية شركاً أكبراً إذا اضطرب قلبك من صاحب القبر أو من جماد بغض النظر عما سوف يفعل بك .

قوله : والإنابة

أي ومن العبادة الإنابة : وهي الرجوع للشيء مرة بعد مرة ، ومنه ينتابه أي يقصده مرة بعد مرة .

وتكون الإنابة توحيداً إذا كان يرجع إلى الله في الملمات مرة بعد مرة ، فيقال أناب إلى الله

وتكون الإنابة شركاً أكبراً إذا قصد القبر مرة بعد مرة ، في الملمات . يقال أناب إلى صاحب القبر . وإن كان الرجوع إليه مرة واحدة كان شركاً أكبر لكن التكرار أشد شركاً .

أما الفرق بين الرغبة والإنابة : فالرغبة هي كثرة الرجوع والتردد ، وكذلك الإنابة لكن الرغبة الرجوع في الأمور المحبوبة ، والإنابة الرجوع في الملمات والمكروهات .

والفرق بين الإنابة والتوبة هو : التوبة أخص من الإنابة ، فالتوبة رجوع خاص بصفة معينة وهي الرجوع مع الإقلاع والندم .

والدليل في التفريق بين التوبة والإنابة قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ ( ص : ٢٤ )

قوله : والاستعانة

أي ومن العبادة الاستعانة . والاستعانة لغة : مأخوذة من العون والمعاونة والمظاهرة . يقال فلان عوني أي معيني ، والمعين هو الظهير فتكون الاستعانة المعونة .

واصطلاحاً : طلب المعونة من الله .

قوله : والاستعاذة

أي ومن العبادة الاستعاذة . والاستعاذة لغة : مأخوذة من العوذ وهي الالتجاء للشيء والتعلقُ به والإستنصارُ به . لذا سميت المعوذتين لأنهما تعصمان من السوء .

شرعاً الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله .

قوله : والاستغاثة

أي ومن العبادة الاستغاثة .

الاستغاثة لغة : مأخوذة من الغوث ، فأغاثه بمعنى أعانه ونصره وكشف الشدة عنه ، ولذا سمي المطر غوثاً لأنه يكشف شدة القحط .

ويلاحظ أن هناك قاسماً مشتركاً بين تعاريف الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة ( فالاستغاثة ، والاستعانة ، والاستعاذة ) هي المعونة والنصرة ، لكنها تختلف باعتبار الحالة والزمن ؛ فإذا وقع عليك الشر وطلبت النصرة بإزالته فهذه تسمى استغاثة ، فنداء الغريق يسمى استغاثة ، أما إذا لم يقع عليك الشر حتى الآن لكنه على الطريق أن يقع عليك فطلبت أن لا يقع عليك فهذه الاستعاذة ، أما في الأمور العادية إذا لم يقع عليك شر ولا تتوقع شراً فإنه يسمى استعانة .

إذا استعان واستغاث واستعاذ بالله تعالى فقط فهذا توحيداً .

وتكون شركاً أكبراً إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، مثل الاستعانة في رفع القحط وهذا لا يقدر عليه إلا الله ونحو ذلك .

وتكون شركاً أصغراً إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد عليه ، كما لو وقع في شدة فاستعان بالسلطان ، أو كاد يغرق في البحر فاستغاث بالناس لكنه معتمد عليهم فهذا شرك أصغر ، كالذي يستعين بالجيش ويطمئن أن النصر سوف يحصل ، فهذا من الشرك الأصغر .

أما إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد على الله وعدم الاعتماد على المخلوق فهذا جائز .

قوله : والذَّبْح

أي ومن العبادة الذبح .

الذبح لغة : الشق .فأصل الذبح شق حلق الحيوانات .

أما المعنى الإصطلاحي للذبح :فهو ذبح القرابين تقرباً إلى الله وتعظيماً وتذللاً بطريقة مخصوصة.

ذبح العبادة : هو إراقة الدماء على وجه التقرب والتعظيم ، أما كلمة الذبح فقط ، فهي إراقة الدماء .

ويكون الذبح توحيداً وعبادة لله إذا ذبح تعظيماً لله وتقرباً .

ويكون الذبح لغير الله شركاً أكبراً إذا ذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً.

ومعنى تقرباً : أي حتى ينفعه لجلب خير أو دفع شر ؛ فهدفه من وراء الذبح له أن ينفعه دنيوياً أو أخروياً ؛ أو يدفع شراً أو آفة عنه .

ومعنى تعظيماً : أن يقوم في قلبه عظمته ومكانته فيدفعه هذا التعظيم والإجلال إلى أن يذبح له .

والذبح لغير الله له عدة صور :

منها الذبح للجن تخلصاً من شرهم أو لكي يساعدوه في شيء كفك السحر والعين . وهذا شرك أكبر .

ومنها الذبح على عتبات البيوت إذا تم بناؤها أو عند تأسيس البيت لكي يسلم من شر الجن والحسد والعين ومثله الذبح عن تأسيس أي شيء كحفر بئر ونحو ذلك . وهذا شرك أكبر .

ومنها الذبح للأموات والأولياء على أضرحة قبورهم إما تعظيماً لهم أو إجلالاً أو لكي ينفعوه في الدنيا أو في الآخرة . وهذا شرك أكبر .

أما الذبح للأموات من باب الصدقة والأضحية فهذا الذبح يقصد به إهداء الأجر لهم لا أن الذبح ذاته لهم . وهذا جائز .

ومنها الذبح للسلطان والأمير تعظيماً ، وللعظماء والكبراء تعظيماً لهم لأنهم كبراء ، أو تقرباً لهم كي ينفعوه في مال أو منصب ونحو ذلك ، وهذا من الشرك الأكبر ، وصورتها أن تؤخذ الذبيحة فتذبح إذا نزل من الطائرة أو إذا دخل من الباب أو قاعة أو عند قدومه أو عند طلعته ، وعلامة ذلك : أن تذبح في وجوههم ولا يهمك بعد ذلك لحم هذه الذبيحة ، فيهمك أن يعلموا أن الذبح لهم ، أما لو ذبحت لهم في مكان آخر كالمسلخ مثلاً ثم أتيت باللحم لأكله من باب الضيافة فهذا جائز في الأصل ، وقد يكون محرماً إذا كان فيه إسراف ، وقد يكون مستحباً إذا كان من باب إكرام الضيف .

ومن الشرك الأكبر الذبح مع ذكر غير اسم الله على الذبيحة مثل قوله : ( باسم الشعب أو باسم المليك أو باسم الأمة أو باسم المسيح ) أو يذكر اسم الله ويذكر معه غيره وهذا شرك أكبر .

لا يوجد هناك شرك أصغر في الذبح لأنها عبادة ومن صرف عبادة لغير الله فهو شرك أكبر. أما الشرك الأصغر فهو ما كان دون صرف العبادة .

أما الصور التالية من الذبح فتعتبر جائزة لأنه ذبح لله وقصد معاني شرعية جائزة :

– الذبح للضيوف من باب الكرامة والضيافة . – الذبح للأهل من باب النفقة عليهم . – الذبح للوالدين والأقارب من باب إهداء الأجر والثواب إليهم. – ذبح الأضاحي والعقيقة ونحوه . – ذبح الهدي وهو واجب على المتمتع والقارن . – ذبح الفداء على مرتكب المحظورات .

قوله : والنذر

أي ومن العبادة النذر

النذر لغة : أن توجب على نفسك ما ليس بواجب .

أما المعنى الإصطلاحي للنذر فهو إلزام المكلف نفسه شيئاً ليس بواجب تعظيماً للمنذور له وتقرباً .

ولقد اختلف في حكم التقرب إلى الله بالنذر : فبعض العلماء كرهه وبعضهم قالوا أن ابتداء النذر حرام لكن إذا فعله الإنسان وجب الوفاء به هذا إذا كان النذر ليس معصية . والدليل على تحريم ابتداء النذر قوله ﷺ :( لا يأتي بخير إنما يستخرج به من مال البخيل ) متفق عليه .

ويكون النذر شركاً إذا ألزم العبد نفسه شيئاً لغير الله تعظيماً . أي أدى ما في قلبه من إجلال واحترام لغير الله إلى أن ينذر له ، أو نذر لغير الله تقرباً وهو التماس الخير منه بهذا النذر . وله صور .

– كأن يقول إن شفى الله مريضي فلقبر الولي الفلاني كذا من الغنم أو المال.

– أن يقول : للقبر الفلاني كذا من المال أو للشيخ الفلاني إن نجحت العملية أو سلمت من المرض .

– إذا ضاع له شيء فيقدم طيباً أو ذهباً لقبر الولي حتى يجده .

وكل هذه الصور شرك أكبر . ومناطه القول أو الفعل وليس الاعتقاد .

قوله : وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى.

أي أن هذه العبادات وغيرها يجب صرفها لله وحده .

قوله : والدليلُ قوله تعالى ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) [الجن:١٨]

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ ) : المساجد :مواضع الصلاة، سواء كانت مبنية، أو أرضاً لا بناء فيها،

قال رسول الله ﷺ : وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "( متفق عليه )

وسميت مساجد لأنها مواضع السجود ، والسجود أشرف أركان الصلاة وأعظمُها. وكما أن المصلي لا يصلي إلا لله، فكذلك يجب عليه أن لا يسأل ولا يدعو إلا الله جل وعلا .. ويجب عليه أن لا يعبد غير الله بالمعنى العام للعبادة .

( لِلَّهِ ) : اللام للاستحقاق ومعنى الله هنا المعبود الخالق . ولا ناهية ، والنهي يقتضي التحريم .

( تَدْعُوا ) : تدعو أعم من قولنا تعبد ، فمنع الدعاء ، لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين :

دعاء عبادة . ودعاء مسألة . فلفظ (تَدْعُوا) يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، يعني لا تدعو مع الله أحدا لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة . فهذه الآية دليل على وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة

(فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) يعني لا تعبدوا مع الله أحدا فقد قال رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة» رواه أبو داوود والترمذي وجماعة وهو حديث صحيح .

قوله : فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مشرِكٌ كافرٌ

يعني من توجه بشيء من أنواع تلك العبادات لغير الله فهو مشرك كافر ، يريد الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة .

## الدرس السادس

قال المصنف رحمه الله : فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧]

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أنواع العبادات التي موردها اللسان والقلب والجوارح قال :

" فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ "

(فمَنْ صَرَفَ) يعني من توجه بشيء من أنواع تلك العبادات لغير الله فهو مشرك كافر، طبعا هنا المقصود الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة.

الشرك الأكبر هو : أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك أكبر .

ولقد قسم العلماء الشرك لعدة أقسام لاعتبارات مختلفة.

فمنهم من قسم الشرك إلى شرك ظاهر وشرك خفي.

ومنهم من قسمه إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

ومنهم من قسمه إلى شرك أكبر وأصغر وخفي.

وهذه تقسيمات معروفة عند العلماء ، وكل تقسيم له اعتبار ولكن هذه التقسيمات من الناحية العملية لا خلاف بينها لكنها اختلافات في التقسيم باعتبارات مختلفة.

فمثلا من يقسمون الشرك إلى ظاهر وخفي أو إلى جلي وخفي:

يكون الجلي منه ما هو أصغر ومنه ما هو أكبر ، الجلي الظاهر الذي يُحس مثل الذبح لغير الله ، النذر لغير الله هذا جلي، هذا من نوع الشرك الأكبر ، هو جلي أكبر، كذلك مثل الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كذلك هذه من نوع الشرك الجلي الأكبر ، الحلف بغير الله تعالى شرك جلي ولكنه أصغر . إذن فهناك شرك جلي أكبر مخرج من الملة وهناك شرك جلي أصغر غير مخرج من الملة . وكذلك الشرك الخفي منه ما هو أكبر مخرج من الملة كشرك المنافقين نفاق قلبي ومنه ما هو شرك أصغر غير مخرج من الملة مثل يسير الرياء .

ومَن قسم الشرك إلى شرك أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة . قسم الشرك الأكبر والأصغر إلى شرك جلي وخفي.

وأوضح تقسيم هو تقسيم الشرك لأكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة ولكنه أكبر من الكبائر وشرك خفي : وهو الشرك الذي لا يُعلم والذي كفارته كما جاء في الحديث الصحيح دعاء المسلم : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم"

قوله رحمه الله : والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧]

(مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ ): من يدع والدعاء في القرآن قد يكون دعاء مسألة وقد يكون دعاء عبادة، فإذا لم يكن في الدليل ، في النص قرينة تحدد أحد المعنيين ، حُمل على المعنيين جميعا؛ لأن حمل النص على أحد المعنيين دون دليل وبرهان تحكُّم في النص ، وذلك لا يجوز .

فهذه الآية تبين أن دعاء غير الله كفر لقوله تعالى : ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ )

وكذلك تبين أن الذي يدعو غير الله ليس له برهان على هذه الدعوى .

قال المصنف رحمه الله : وفي الحديثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»

مخها : يعني لبُّها وجوهرها .

هذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء ، قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، من حديث أنس ﷺ . إذن هذا الحديث حديث ضعيف . والحديث الصحيح هو قوله ﷺ : "الدعاء هو العبادة". وهذا الحديث رواه أحمد وأصحاب السنن، وقال الترمذي: حسن صحيح .

قوله رحمه الله : والدليلُ قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

في هذه الآية حث الله سبحانه وتعالى العباد على الدعاء (ادْعُونِي ) ثم وعدهم على الدعاء بالإجابة (أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) وفي الآية تسمية الدعاء عبادة " إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"

فهذه كلها تدل على أن الدعاء من العبادات وأن من صرف منها لغير الله فهو مشرك كافر مستحق للخلود في جهنم إن لم يتب قبل الموت .

قال المصنف رحمه الله : " ودليلُ الخوف قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٨٥].

حتى نستطيع أن نحكم على أي عمل بأنه عبادة لا بد من دليل قطعي على ذلك فإذا أثبتنا على أن هذا العمل عبادة ففي هذه الحالة يكون صرفه لغير الله شرك .

لذلك فإن المصنف رحمه الله بدأ يبين الأدلة من القرآن الكريم على ما ذكره من أنواع العبادات فذكر هنا دليلَ الخوف وذكر بعده دليلَ الرجاء وبعده دليلَ التوكل ثم دليلَ الرغبة والرهبة والخشوع ثم دليل الخشية ثم دليل الإنابة ثم دليل الاستعانة ثم دليل الاستعاذة ثم دليل الاستغاثة ثم دليل الذبح ثم دليل النذر . ولقد بينت في الدرس السابق كيف تكون هذه الأعمال عبادة لغير الله .

قوله رحمه الله (ودليلُ الخوفِ) يعني الدليل على أن بعض أنواع الخوف عبادة ( قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذا الدليل فيه أن بعض أنواع الخوف من غير الله منهي عنه ، وأن الخوف من الله جل وعلا مأمور به ، فقد قال سبحانه (فَلَا تَخَافُوهُمْ) نهي عن الخوف من غير الله ، ثم قال (وَخَافُونِي) وهذا أمر بالخوف من الله جل وعلا ، وما دام أن الله جل وعلا أمر بالخوف منه فمعنى ذلك أن الخوف منه محبوب له مرضي عنده فهذا يدل على أنه عبادة .

ولقد بينت في الدرس السابق كيف يكون الخوف عبادة لغير الله .

وكذلك في الآية دليل على أنه يجب إفراد الخوف لله تعالى حتى يتحقق الإيمان لهذا قال : (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فجعل حصول الإيمان مشروطا بالخوف منه جل وعلا . يعني إن كنتم مؤمنين فخافوني ولا تخافوهم ، وهذا دليل على وجوب إفراد الله جل وعلا بهذا النوع من الخوف .

قال المصنف رحمه الله : ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

الرجاء : أحد مقامات العبادة وهو أمل الإنسان في الله عز وجل برحمته و عفوه .والمقصود ها هنا هو رجاء العبادة. ولقد بينت في الدرس السابق متى يكون الرجاء عبادة .

في هذه الآية امتدح الله جل وعلا من قام بنوع رجاء العبادة ، وإذا كان ممدوحا قد مدحه الله جل وعلا فهو يدخل في نوع العبادة .لهذا يجب عدم صرفه لغير الله وإلا وقع في الشرك الأكبر .

قال المصنف رحمه الله : ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالتوكل عليه وما دام أنه أمر به فهو راض له وهذا يدل على أنه عبادة من العبادات ، ولقد بينت في الدرس السابق كيف يكون التوكل عبادة لله وكيف يكون شركاً أكبر .

وكذلك اشترطت الآية التوكل على الله وحده لحصول الإيمان فقال عز من قائل : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هنا قدم الجارّ والمجرور فقال (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا) وتقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر ، أو يفيد الاختصاص ، فقوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني أحصروا توكلكم في الله ، اقصروا توكلكم على الله إن كنتم مؤمنين ، خُصُّوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين .

قوله : وقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].

وهذه الآية أيضا دليل على أن التوكل عبادة ، فقد وعد الله سبحانه وتعالى للمتوكل عليه بأنه كافيه، حسبه: أي كافيه . وهذا يدل على أن التوكل عمل يحبه الله ويرضاه ويكافئ عليه ، فيدل ذلك على أنه من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله .

قال المصنف رحمه الله : ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

لقد بينت في الدرس السابق ما هي الرغبة والرهبة والخشوع الذي يدخل في مسمى العبادة والذي إذا صرف لغير الله شرك أكبر .

وهذه الآية دليل على أن الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله . في الآية الله سبحانه وتعالى أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سورة الأنبياء ، التي هذه الآية في أواخرها بقوله (إِنَّهُمْ

كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا)، يعني ويدعوننا راغبين، راهبين خاشعين ، وهذا في مقام الثناء عليهم ؛ وما دام أنه أثنى عليهم فإن هذه الأعمال من العبادات المرضية له فتدخل في حد العبادة.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قال في آخر الآية : (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) قدم الجارّ والمجرور على ما يتعلق به وهو اسم الفاعل (خاشع)؛ أصل الكلام: كانوا خاشعين لنا. فلما قدم ما حقه التأخير كان ذلك مفيدا للاختصاص وللحصر وللقصر كما هو معلوم في علم المعاني.أي كانوا خاشعين لنا فقط .

قوله رحمه الله : ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠].

الخشية خوفٌ يصحبه تعظيم . الخشية من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى شرك مخرج من الملة .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

قبل هذه الآية قال الله تعالى : " وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي"

لما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أرجفوا الناس ومنهم اليهود حتى تمرض القلوب الضعيفة من المسلمين فقالوا : "مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا" فحذر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بقوله " فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي" يعني ولوا وجوهكم حيث ما كنتم عند الصلاة شطر المسجد الحرام وليس لبيت المقدس ولا تخشوا في ذلك لومة لائم ، لأن المسلم يجب أن يطيع أوامر الله مهما كانت .

قوله : ودليل الإنابةِ قوله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤].

(أَنِيبُوا ) فعل أمر ، أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالإنابة " وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ " يعني اقبلوا عليه بالطاعات فالإنابة إذا أُفردت فهي بمعنى الإسلام وبمعنى الإيمان لكن إذا قرنت بالإسلام كانت الإنابة بالقلب والإسلام بالجوارح بالأعمال الظاهرة مثل الإيمان والإسلام ، إذا جُمع بينهما انصرف الإيمان إلى الاعتقاد –أعمال القلوب– و الإسلام إلى أعمال الجوارح وإذا أنفرد كل واحدٍ منهما شمل الآخر وسوف يأتي لهذا بيان في محله إن شاء الله تعالى.

أمر الله سبحانه بالإنابة له وهذا يدل على أنه يحبها ويرضاها ممن أتى بها ، وهذا يدل على أنها عبادة يجب أفرادها لله وحده . لهذا قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود:٨٨ (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ)؛ عليه وحده لا غير توكلت ، فوّضت أمري وأخليت قلبي من الاعتماد على غيره ، ومجيء الجارّ والمجرور متقدم على ما يتعلق به وهو الفعل ، دل على وجوب حصرها وقصرها واختصاصها بالله جل وعلا ، ثم قال وإليه أنيب ، يعني إليه وحده لا إلى سواه أنيبُ ؛ أرجعُ محبًّا راجيًا خائفًا عن كل ما سوى الله جل وعلا إلى الله وحده ، فلما قدم الجارّ والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل ، دل على أن هذه العبادة وهي الإنابة مختصة بالله جل وعلا ، والآية جاءت في معرض الثناء على شعيب .

قوله : ودليل الاستعانةِ قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]

(إِيَّاكَ) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم ، أصل الكلام (نَعْبُدُ إِيَّاكَ) ومن المعلوم أن المفعول به يتأخر عن فعله، فإذا قُدّم يُفيد الاختصاص ، وكذلك يفيد الحصر والقصر ، يعني لا نعبد إلا أنت، ثم قال بعدها (وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ) : أي لا نستعين إلا بك ،وهذا يدل على أنها عبادة خاصة بالله لا يجوز صرفها لغيره .ولقد بينت في الدرس السابق ما هي الاستعانة التي لا تطلب إلا من الله وطلبها من غير الله شرك أكبر مخرج من الملة .وهي طلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله .

قوله : وفي الحديثِ «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

يعني إذا حصل منك حاجة للاستعانة فلا تستعن بأحد إلا بالله .وهذا يدل على أن الاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

قوله : ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].

أعوذ : معناها ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرز ، تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، معناها ألتجئ وأعتصم وأتحرز بالله من شر الشيطان الرجيم .

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية نبيه ﷺ أن يستعيذ برب الناس ، ما دام أنه أمر به فهو عبادة قلبية ، لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه .

قوله : ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩].

وجه الاستدلال من هذه الآية بأن الاستغاثة عبادة من العبادات أنه أتى بها في معرض الثناء على أهل بدر حين استغاثوه هم والرسول عليه السلام فاستجاب لهم وأمدهم بالملائكة ونصرهم على المشركين مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة عدد المشركين وعدتهم . ثم إنه سبحانه وتعالى رتّب على الاستغاثة الإجابة وهذا يدل على أنه يحبها، وقد رضيها منهم ، فهذا يدل على أنها من العبادات .

ولقد بينت في الدرس السابق ما هي الاستغاثة التي يجب صرفها لله تعالى وصرفها لغيره شرك أكبر مخرج من الملة وهي الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

قوله رحمه الله : ودليل الذَّبْحِ قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخلص له في الصلاة والنسك والمحي والممات . وهذا الأمر للرسول هو أمر لأمته أيضاً لأن أمته تبعٌ له فيها لأنه مشرع لها عن ربه عز وجل .

والشاهد في هذه الآية هو قوله " ونسكي " و النسك الذبيحة كالهدي والأضحية . أمر الله سبحانه في هذه الآية أن يخلص لله بالنسك يعني الذبح وهذا يدل على أن الذبح عبادة يجب أن تكون لله وحده ومن صرفها لغير الله فقد أشرك . والدليل على ذلك قوله :" لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "

قوله رحمه الله : " ومِنَ السُّنَّةِ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ». أي ومن الدليل من السنة على أن الذبح عبادة يجب أن تصرف لله وأن صرفها لغير الله شرك قول رسول الله ﷺ : «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ». الحديث هذا في صحيح مسلم وهو عن علي ﷺ قال حدثنا رسول الله ﷺ بأربع كلمات "لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ،

لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض " واللعن من الله طرد الملعون وإبعاده عن رحمة الله ومن المخلوق طلب الطرد والإبعاد من رحمة الله .

فقد لعن رسول الله ﷺ من ذبح لغير الله ومن ذبح لغير الله لم يذبح لله ، وإنما ذبح لغيره ، فهو ملعون بنص الحديث . فهذا يدل على أن الذبح لغير الله عمل لا يحبه الله بل يبغضه ومعنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له. وهذا يدل على أنه عبادة لا يجوز أن تصرف لغيره .

ولقد بينت في الدرس السابق كيف يكون الذبح عبادة لغير الله .

قوله رحمه الله : ودليلُ النَّذْرِ قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

النذر لغة : الإلزام و اصطلاحاً: إلزام المكلَف نفسه بعبادة لم تكن واجبة عليه بأصل الشرع .

والنذر منه ما هو شرعي ومنه ما هو شركي . النذر الشرعي هو ما كان لله سبحانه وتعالى والشركي ما كان لغير الله . والنذر الشرعي قد يكون مطلقا وهو الذي لم يقيد بشيء ولم يعلق على شيء بأن يقول : " نذرت السنة أن أتصدق بكذا من المال " نذرت أن أصوم أيام الاثنين هذا الشهر " ومثل هذا النوع من النذر غير مكروه ويكون النذر الشرعي مقيد مثل أن تقول : " إن شفى الله مريضي فعلي صيام كذا " فمثل هذا النذر مكروه وذهب بعض العلماء إلى تحريمه وهو ما قصد بقول رسول الله ﷺ " إن النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل "

الوفاء بالنذر الشرعي سواء كان مطلقاً أو مقيداً واجب لأن الرسول ﷺ قال :

« من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »

وجه الدلالة من الآية على أن النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله هو أنها جاءت في معرِض الثناء على الأبرار بأنهم يوفون بالنذر . وهي في سورة الدهر وجاء قبلها " إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا "

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية امتدح الأبرار بأنهم يوفون بالنذر ، وهذا يدل على أن هذا العمل وهو الوفاء بالنذر محبوب له سبحانه ، وهذا يدل على أنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

والنذر له شقان : الشق الأول النذر والثاني الوفاء به ، وكلا الأمرين إذا صُرفت لغير الله جل وعلا فهي شرك.

## الدرس السابع

يقول المصنف رحمه الله : " الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دينُ الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ ، والانقيادُ له بالطاعةِ ، والبراءة من الشرك وأهله ؛ وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسان . وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ."

**الأصل الأول ، شرع في الأصل الثاني من أصول الدين ، وهو معرفة دينُ الإسلام بالأدلة من الكتاب والسنة .**

**قوله رحمه الله : " الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دينُ الإسلامِ بالأدلةِ .**

**يعني الأصل الثاني الذي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفته هو : دين الإسلامِ بالأدلةِ .**

**، وتارة يراد به الإسلام الخاص . ولقد بينت ما هو الإسلام العام وما هو الإسلام الخاص في الدروس السابقة وهو الإسلام الذي جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام والذي يشمل على عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام . فبعد ن على دين الإسلام العام يجب عليه أن يتبع دين الإسلام الخاص ، الذي بُعث به نبينا عليه الصلاة والسلام .**

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أكبّه الله في النار»،

(لا يسمع بي) يعني ببعثتي برسالتي، وبما أرسلت به، «أحد من هذه الأمة »، المراد أمة الدعوة .فكل الناس هم أمة الدعوة .

«ثم لا يؤمن بي إلا أكبه الله في النار» هذا دليل على عدم قبول الإسلام العام بعد بعثته عليه الصلاة والسلام .

**د في ذلك ، فلا بد للعبد من معرفة دينه بالأدلة من الكتاب والسنة ، ليكون على نور ، وبرهان ، وبصيرة من دينه .**

**نه يُخشى عليه في حياته أن يقع في الشرك الأكبر والشك في حقائق الدين وأصوله ، وكذلك يخشى عليه بعد صل له الشك ، فيجيب بالجواب السيئ ، يقول : هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، بخلاف ى القول الثابت في الدنيا ، فإنه حري بأن يقول عند سؤال الملكين : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ﷺ.**

فإن من أسباب الثبات عند السؤال ،معرفة الدين بالحجج من الكتاب والسنة ثم العمل به .

**قوله رحمه الله : " وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ ، والانقيادُ له بالطاعةِ ، والبراءة من الشرك وأهله "**

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله أن الأصل الثاني هو : معرفةُ دينُ الإسلامِ بالأدلةِ .، بين ما هو الإسلام فقال رحمه الله : (وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادُ له بالطاعةِ، والبراءة من الشرك وأهله)

المصنف رحمه الله هنا عرف الإسلام بثلاثة أشياء:

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد.

ثانيا: الانقياد لله بالطاعة.

ثالثاً: البراءة من الشرك وأهله.

وهذا هو معنى الشهادتين .

**الخضوع لله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادة . فالتوحيد يشمل على توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وفي ى توحيداً خالصاً. فمن لم يوحد الله في ربوبيته وألوهيته وصفاته وأسمائه فليس بموحد ولا مسلم .**

**، بإفراده بالربوبية ، والخلق والتدبير ، وإفراده**

بحانه وتعالى بطاعته الطاعة المطلقة وطاعة رسوله ﷺ ، وذلك بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه ، طاعة لله تعالى وابتغاء وجهه ، ورغبة فيما عنده وخوفاً من عقابه .

فقد قال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾[النور:٥٤]

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال عز من قائل : (أَطِيعُوا اللَّهَ ) أي : أطِيعُوا اللّهَ فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) أي وكذلك أطِيعُوا الرّسُولَ فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإن طاعته طاعة لله . " فَإِنْ تَوَلَّوا" يعني : فإن تولوا وأعرضوا ولم يذعنوا ولم ينقادوا لأوامر الله ورسوله (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ) يعني على الرسول ما أُمِر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) أي عليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من إتباع رسوله ﷺ والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

قوله ( والبراءة من الشرك وأهله )

ورد في بعد النسخ : " والخُلوصُ مِنَ الشّرِكِ وأهلِهِ "

والصواب هو (البراءة من الشرك وأهله) فهذا هو الموجود في النسخ المعتمدة، أما عبارة (والخلوص من الشرك) فهذه ليست في النسخ المعتمدة ، ومن المعلوم أن عبارة (البراءة من الشرك وأهله) أدل على المراد من لفظ (الخُلوص من الشرك) لأن الخُلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك ، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله ، هذا ، وعبارة " البراءة من الشرك وأهله" هي التي تناسب الاستدلال الذي استدل به المصنف رحمه الله وهو قوله تعالى في سورة الزخرف (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ .إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) فذكر البراءة ، وهو الذي يناسب هذا التعريف.

إذاً فلا بد لتحقيق الإسلام من البراءة من الشرك ومن أهل الشرك .

والبراءة من الشرك لا تتحقق إلا بالبراءة من العمل ، وهو الشرك ، والبراءة من العامل ، وهو المشرك . والبراءة من أهل الشرك تقتضي تكفيرهم وبغضهم ومعاداتهم بقدر الاستطاعة وتقتضي أيضاً تكفير من لا يكفرهم ، وبدون ذلك لا تتحق البراءة من الشرك وأهله ، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت أيضاً ، فإن الكفر بالطاغوت معناه تكفير الطاغوت وتكفير من عبده وبغضهم ومعاداتهم بقدر الاستطاعة وتكفير من لا يكفرهم . وبدون ذلك لا يتحقق الكفر بالطاغوت والذي هو الشرط الأول لدخول الإسلام .

راهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ يه السلام هو ومن معه من الموحدين من أهل الشرك قبل أن يتبرأ من معبوداتهم . وهذا دليل واضح على أن تكفير المشركين من اصل الدين وركن من أركان التوحيد وليس من لوازمه كما يدعي جهلة التوحيد .

قوله رحمه الله (وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ) .

ي : دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ له ثلاث مراتب . وهي : الإسلام والإيمان، والإحسان . وسيأتي بيانها .

بن الخطاب ﷺ حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وبعد أن بين له ما هي قال عليه الصلاة والسلام : ( فإنّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ دِينَكُم) . رواه مسلم .

قوله (وكلٌّ مرتبةٍ لها أركانٌ)

لا تقوم إلا عليها ، وأركان الشيء أجزاؤه في الوجود التي لا يحصل إلا بحصولها ، وهي داخلة في حقيقته ، كأركان البيت التي لا يقوم إلا بها ، فمراتب الدين لا تتم إلا بأركانها .

قال المصنف رحمه الله : فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ: شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ.

قوله : (فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ)

بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البِيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" متفق عليه

أن الإسلام ينبني على هذه القواعد الخمس فهي أركانه التي لا يقوم إلا بها كما أن البيت لا يقوم حتى تكتمل أركانه .

الركن الأول : الشهادتان " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله "

الحضور . تقول : " اشهد أن فلاناً كذا " يعني أعلم و أُخبر أن فلاناً كذا . ويقال : "شَهِدَ بدراً " يعني حضر بدراً .

ر المكلف لله بالوحدانية وبما تقتضيه هذه الوحدانية ، عن علم ، وإقراره لنبيه ﷺ بالرسالة وبما تقتضيه هذه الرسالة عن علم .

ولقد بُدأ بالشهادتين لأنهما أصل الدين وشرط قبول العمل .

الركن الثاني للإسلام : إقامة الصلاة .

الصلاة لغة : الدعاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (التوبة :١٠٣)

صل عليهم : أي ادعوا لهم .

أما المعنى الشرعي للصلاة فهو : عبادة ذات أقوال وأفعال خاصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم .

إقامة الصلاة يعني : أداء الصلاة المكتوبة بأركانها وواجباتها وفي أوقاتها.

دتين ، وهي عمود الدين لقوله ﷺ : ( رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ) . رواه الترمذي

ة لقوله ﷺ ( أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله ) . رواه الطبراني

أما الركن الثالث للإسلام : فهو الزكاة .

المعنى الشرعي للزكاة : هو إعطاء حق معلوم محدد من مال معلوم محدد لفئة معلومة محددة .

أما الركن الرابع للإسلام هو الصيام .

الصيام لغة : الإمساك .

وشرعاً : الإمساك بنية عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

أما الركن الرابع للإسلام : الحج

الحج لغة : القصد .

وشرعاً : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص .

تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :١٨]

لام الخمسة . فقال رحمه الله : " فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "

حانه وتعالى في هذه الآية الكريمة شهد لنفسه ، وشهد له بذلك الملائكة ، وهم عُمَّار السماء، وشهد له بذلك
لا هُوَ " أي المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق ، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه ، وهو الغني عما سواه .

قِسْطِ " أي قائماً على شؤون خلقه بالعدل يخفض ويرفع و يعطي و يمنع ويعز و يذل وله في كل ذلك حكمة .

نفسه بالوحدانية ، وأخبر بشهادة ملائكته له بذلك ، وبشهادة أولي العلم له بذلك ، أخبر مرة أخرى بمضمون
ذلك فقال عز من قائل (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .فبدأها بوحدانيته وختمها بوحدانيته .

، والحكيم يتضمن صفة الحكمة، فالحكيم أحد معانيه: المُحكِم المتقن . وله معناً آخر وهو : الحاكم بين خلقه.

إلا اللهُ وحده؛ (لا إله) نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ اللهِ (إلا الله) مُثْبِتًا العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ،
كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ "

ذكر رحمه الله الدليل على شهادة التوحيد بدأ في شرح معناها فقال : " ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده "

له ، أي أن يعترف ويقر العبد بقلبه ولسانه بأنه لا معبود بحق إلا الله . وهذا هو المعنى الصحيح لهذه الكلمة
على ذلك : قوله ﷺ في الحديث الصحيح : " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله"

ير من الجهلة ( لا إله في الوجود إلا الله ) لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن وجود آلهة كثيرة للمشركين .

لَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ " ﴾ (هود :١٠١)

وقال أيضاً:﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ (الفرقان :٢٨)

إلا الله ) لأن هذا تفسير ناقص ، لأنه تفسير لتوحيد الربوبية فقط ، وهذا التوحيد قد أقر به بعض المشركين
الإسلام ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم . ولو كان المراد هذا المعنى لما أمتنع المشركون عن قولها ، ولكنهم
ربوا من يدعوا لها ، ولهذا قالوا فيما قص الله عنهم " أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" [سورة ص آية:٥]

أيها الأخوة كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " تتكون من أربع كلمات: (لا) ثم (إله) ثم (إلا) ثم (الله) .

(لا) حرف نفي الجنس ، وهي من أخوات إنَّ ، أو تعمل عمل إنَّ كما قال ابن مالك :

عَمَلَ إنَّ اجْعَلْ لِلا فِي نَكِرَة

ويكون اسمها نكرة ، وهو هنا " إله " فـ "إله " اسم (لا) وهو نكره . الإله فعال بمعنى مفعول مألوه يعني معبود ؛ لأن الإلهة بمعنى العبادة ، والألوهة بمعنى العبودية، وأصلها من أَلَهَ يَأْلَهُ، إِلَهَةً، وألوهة ؛ إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء.

فمعنى (لا إله) لا معبود . وهذا الذي يقتضيه لسان العرب، وكذلك هو الذي جاء في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[هود:١-٢]

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[المؤمنون:٢٣] فقوله (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) أتى بعد أمرهم بعبادة الله جل وعلا وحده دون ما سواه .

فتفسير الإله بالمعبود ، موافق للقرآن وموافق للغة العرب . لهذا تفسير الإله بالرب خطأ من ناحية اللغة ومخالف للقرآن والسنة . لأن مادة الإله غير مادة الرب ، والإله هو المعبود . لهذا أخطأ من فسر كلمة التوحيد : " بلا مستغنياً عما سواه، ولا مفتقراً إليه كلّ ما عداه ، إلا الله." أو : " لا قادر على الاختراع إلا الله " لأنه تفسير لتوحيد الربوبية فقط .

الكلمة الثالثة التي تتكون منها شهادة التوحيد هي (إلا) و(إلا) عند بعض العلماء أداة استثناء، وعند بعضهم أداة حصر .

وخبر (لا) محذوف تقديره (حق ) لأن في لغة العرب لا النافية للجنس يحذف خبرها إذا كان واضحا معلوماً. قال ابن مالك في الألفية في آخر باب لا النافية للجنس :

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَرِ إِذَا الْمُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَر

فلا يحذف خبر لا النافية للجنس إلا إذا كان واضحاً . ولا يجوز تقدير خبر (لا) بـ ( موجود ) أي " لا إله موجود إلا الله " لأن المشركين كانوا يعتقدون أن هناك آلهة كثيرة موجودة ، ولو فهموا من شهادة التوحيد أن معناها " " لا إله موجود إلا الله " لما اعترضوا قائلين كما أخبر الله عنه : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ولقالوا للرسول الله ﷺ عندما دعاهم لكلمة التوحيد : هذه الآلهة موجودة ، فكلمتك هذه ليست بصحيحة.

إذاً فالصحيح أن خبر (لا) المحذوف هو ( حق ) لأنه واضح معلوم ولأنه زبدة ما بعث به النبي ﷺ ، بل هو عين ما بعث به . لأن النبي عليه الصلاة والسلام بُعث لتوحيد الله جل وعلا بالعبادة ولإبطال عبادة غيره ، وليبين أنه لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود سوى الله جل وعلا فعبادته باطلة وظلم وطغيان وتعدي على حق الله . إذن هنا حُذِف الخبر لأنه معلوم ، فصار تقديره لا إله حق – أو لا إله بحق– إلا الله ، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[لقمان:٣٠]

إذاً فمعنى " لا إله إلا الله " لا معبود بحق إلا الله أي : لا أحد يستحق العبادة إلا الله جل وعلا . فهناك معبودات غير الله عز وجل كثيرة ، ولكنها معبودات باطلة يجب ردها والكفر بها وتكفيرها وتكفير عابديها وتكفير من لا يكفرهم .

ـا يُعبدُ مِنْ دونِ اللهِ (إلا الله) مُثْبِتًا العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ "

و الإثبات " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله وهذا ما فهمه المشركون لهذا امتنعوا من قولها لأجله .

العبادة لله وحده لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ . فكما أنه سبحانه و تعالى لا شريك له في ملكه كذلك لا شريك له في عبادته .

بات . لأن النفي المحض تعطيل محض ، ليس بتوحيد ، والإثبات المحض لا يمنع المشاركة .فلا بد من الجمع بين النفي والإثبات.

قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ .

حها قولُه تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨] "

الذي يوضحها ويبينها من القرآن الكريم قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )

إبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون ، وكلهم يزعم أنه على طريقته وعلى دينه . فأخبر الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن دين إبراهيم الذي ورثه لذريته .

يم الخليل إمامُ الحنفاء ، ووالد من بعده من الأنبياء ، لأبيه آزر ، وقومه أهلِ بابل ، وملكِهم النمرود ، وكانوا لهم ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ ﴾ أي بريء ﴿ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ يعني من الأوثان ومن جميع ما تعبدونه غير الله ، وهذا نفي فيه معنى ( لا إله ) .

﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي إلا الذي ابتدأ خلقي فإني أتولاه. وهذا معنى ( إلا الله ) .

ء من عبادة كل معبود، إلا المعبودَ الذي خلقه وأوجده فهو وحده معبوده . فدلت الآية على ما دلت عليه ( لا إله إلا الله )

بالحق ، والعمل به . فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي " فإنه سيهدينِ " لما يصلح ديني وآخرتي .

: وجعل كلمة التوحيد وهي : ( لا إله إلا الله ) باقيةً في نسله وذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذريته .

ة وغيرهم ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ يعني يرجعون إلى دين الخليل فيبرؤون من الشرك وأهله ويفردون العبادة لله وحده .

كلمةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٢٦]. "

أي : وتفسير شهادة لا إله إلا الله الذي يوضحها ويبينها من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

قوله :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم .

قوله : ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله:﴿ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي تعالوا إلى كلمة وسط، كلمة عدل بيننا وبينكم، نعلم أنه قد جاء بها رسولكم، وقد جاء بها مُحَمَّد ﷺ، وهي كلمة التوحيد التي تدعون أنكم من أهلها ، وتفسيرها الذي لا تعرفونه أو تعرفونه ولا تلتزمون به هو ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ أي لا نعبد غير الله لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل .

قوله : ﴿ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ أي لا نتبع بعضنا بعضاً في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى . لأننا إذا اتبعناه في تحليل ما حرمه الله أو تحريم ما أحله الله فقد اتخذناه رباً من دون الله .

قوله : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي فإن أعرضوا عن التوحيد ورفضوا قبول تلك الدعوة العادلة فقولوا أنتم : اشهدوا يا معشر أهل الكتاب بأننا موحّدون مسلمون، مقرّون لله بالوحدانية مخلصون له العبادة . منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام ، غير متخذين أحداً ربا لا عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة ولا أي بشر ؛ لأنهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا ، ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا، فنكون قد اتخذناهم أربابا .

فقوله : ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ ﴾ معنى ﴿ لا إله ﴾ موضع النفي وقوله : ﴿ إِلاَّ اللّهَ ﴾ هو موضع الإثبات .فهذه الآية الكريمة من أعظم الآيات التي تبين معنى لا إله إلا الله

الدرس الثامن

قال المصنف رحمه الله : " ومعنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ ما عنْهُ نَهى وزَجَرَ، وأنْ لا يعبدَ اللهَ إلاَّ بما شَرَعَ."

بعد أن ذكر الدليل على (شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ) شرع في تبين معناها .

ف(شهادة أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ) تقتضي أربعة أمور :

أولاً : طاعتُهُ فيما أَمَرَ .

ثانياً : تصديقُهُ فيما أَخْبَرَ .

وثالثاً : اجتنابُ ما عنْهُ نَهى وزَجَرَ .

ورابعاً : أنْ لا يُعبدَ اللهَ إلاَّ بما شَرَعَ .

(طاعتُهُ فيما أَمَرَ ) : أي طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به لأنه مخبر عن الله ، فطاعة الرسول هي طاعة لله .

قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٧]

(تصديقُهُ فيما أَخْبَرَ .) أي ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب وحي من عند الله ، لهذا ما أتى به من أخبار الغيبيات ، يعني الكلام عن الله جل وعلا، أسمائه وصفاته وأفعاله، عن الجنة والنار، عن أخبار الغيب، عن

قصص الماضين، هو كله بوحي من الله جل وعلا . فيجب على من شهد أن مُحَمَّدًا رسول الله أن يصدقه بكل ما جاء به من عند الله .

(اجتنابُ ما عنْهُ نَهى وزَجَرَ ) : أي اجتناب ما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الأصل في النهي والزجر التحريم ، فما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم أو زجر عنه أو حرمه فإنه يجب اجتنابه طاعة له عليه الصلاة والسلام، كما قال جل وعلا ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٧] يعني : ما أتاكم الرسول من الأوامر أو من الأخبار فخذوه امتثالا للأمر وتصديقا بالخبر ، وما نهاكم عنه يجب عليكم أن تتركوه طاعة لله جل وعلا ولرسوله.

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله» .

**وقال ﷺ : ( ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ) . متفق عليه**

**يُعبدَ الله جل وعلا بالأهواء والآراء والاستحسانات المختلفة، إنما يُعبد جل وعلا عن طريق واحدة هي طريق لرسول ، فإن الأصل في العبادات أن تكون وفق التشريع ، وكل بدعة ضلالة .وكل عمل بلا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً.**

فإذا اعتقد المسلم ذلك كمُلت له شهادته بأن مُحَمَّدًا رسول الله وصار مسلماً حقاً.

قال المصنف رحمه الله : ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]

**الإسلام قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**

**الذين كفروا بإخلاص الدين لله وذلك بتوحيده وإفراده بالعبادة ، ﴿ حنفاء ﴾ يعني مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام .**

**يئاً أن يقيموا الصلاة المكتوبة بأركانها وواجباتها وفي أوقاتها ، ويؤتوا الزكاة عند محلها ، وهذا دليل على أنهما ركنان من أركان الإسلام ، لا يستقيم بدونهما ، وكثيراً ما يقرنهما تعالى في كتابه العزيز .**

**(ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**

**ذكر المصنف هنا الدليلَ على أن الصيام ركن من أركان الإسلام .**

**نين من هذه الأمة آمراً لهم بالصيام ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع ، بنية خالصة لله عز وجل ، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم ، فلهم فيهم أسوة حسنة .**

**دليلُ الحجِّ قولُه تعالى﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾**

**قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ أي ولله فرض واجب على الناس ﴿ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ أي : قصده لأداء النسك على المستطيع من المسلمين .**

**لطاعة المقصودة هنا هي : القدرة على الذهاب بنفسه ، وتوفر الزاد والراحلة له بعد قضاء الواجبات عليه .**

**(وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ) أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه .**
**فهذه الآية الكريمة دليل واضح على فرضية الحج لمن استطاع إلى ذلك سبيلا .**

قال المصنف رحمه الله : " المرتبةُ الثانية : الإيمانِ: وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إله إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ ، وأركانُهُ سِتَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ على هذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧]، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]"

قد ذكر المصنف –رحمه الله – أن الأصل الثاني من ثلاثة الأصول : هو معرفة دينُ الإسلام بالأدلة، وذكر أن دين الإسلام مبني على ثلاث مراتب ، فالأولى هي مرتبة الإسلام ، وبيّن ذلك وفسره ، وذكر الأدلة على ذلك ، ثم بدأ بعد ذلك في بيان المرتبة الثانية وهي الإيمان ..

قوله : " المرتبةُ الثانية : الإيمانِ:

أي : المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام هي الإيمان .

الإيمان لغة : التصديق . قال تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي بمصدق لنا .

أما المعنى الشرعي للإيمان : فالسَّلف الصالح تنوعت عباراتهم في تعريف الإيمان ، فمنهم من قال : الإيمان قول وعمل ، ومنهم من قال : الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومنهم من قال : الإيمان قول وعمل ونيّة .

ومن قال الإيمان قول وعمل ، كان يعني بالقول: قول القلب وقول اللسان، وكان يعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح.

قول اللسان : هو النطق والإقرار ظاهراً بنطقه. وقول القلب : هو النية.

والعمل يعني : عمل القلب وعمل الجوارح .

عمل القلب : هو الاعتقادات والعبادات القلبية مثل : الخشية والخوف والرجاء والحب والتوكل وما شابه .

فتعاريف السلف الصالح للإيمان تعريف واحد يدل على معنى واحد بغض النظر عن العبارات التي استعملوها في التعريف . والإيمان عند السلف الصالح يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بنقص الطاعات الواجبة أو ارتكاب المحرمات . ولا ينقص بنقص أركان الإيمان ، بل إذا نقص ركن من أركانه يُنقض الإيمان . وهذا ما قصده الإمام أبو حنيفة رحمه الله بقوله بأن الإيمان لا ينقص ولا يزيد ، فهو كان يقصد أركان الإيمان.

ولقد ورد لفظ الإيمان في القرآن بالمعنى اللغوي وكذلك ورد بالمعنى الشرعي .

مثال المعنى اللغوي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف:١٧] أي بمصدق لنا.

وقوله ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦) أي صدقه .

ومثال المعنى الشرعي : قوله تعالى :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[البقرة:٢٨٥]، إلى آخر الآية .

وقوله ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا﴾[البقرة:١٣٧] ونحو ذلك من الآيات .

قوله : "وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة "

**البضع من الثلاثة إلى التسعة ، والشعبة الطائفة من الشيء .**

الإيمان الذي هو بضع وسبعون شعبة هو الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام . فالإيمان العام أوسع من الإسلام ، والإسلام بعض الإيمان . لهذا قال رحمه الله ( وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إله إلاّ الله) ومن المعلوم أن قول " لا إله إلا الله " أول أركان الإسلام . فهنا عدَّ قول لا إله إلا الله أعلى شعب الإيمان ، وهذا لأن الإيمان يشمل الإسلام وزيادة .

فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال «الإيمان بضع وستون أو قال بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

قوله : " فأعلاها قولُ لا إله إلاّ الله "

أي : للإيمان العام شعب كثيرة أعلاها قولُ لا إله إلاّ الله لأنها كلمة الإخلاص ، وكلمة الإسلام ، وهي العروة الوثقى .

وبدون شك ليس المقصود من قول لا إله إلاّ الله مجرد تلفظها باللسان ، بل قولها بعد معرفة معناها معتقداً هذا المعنى عاملاً بما يقتضيه مبتعداً عن كل ما ينقضه . وبدون ذلك لا ينفعه قولها ولو قالها في اليوم ألف مرة .

قوله : " وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ . "

وأدنى أي أصغر  شعب الإيمان هي : إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ .

**أي : إماطة الأذى من شوك أو حجر ونحو ذلك مما يتأذى منه المار في الطريق .**

**والأحاديث في فضل إماطة الأذى عن الطريق كثيرة ، منها :**

**الله ﷺ : ( لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين ) . رواه مسلم**

**قوله : " وأركانُهُ سِتَّة:**

**ركان أصول الإيمان التي يتركب منها ، والتي لا تقبل النقصان ،  والتي يزول الإيمان بزوال أي واحدة منها ، الأكبر . أما ما عدى هذه الست من شعب الإيمان فزوالها لا يخرج من الملة ، وإنما بزوال بعضها يزول كمال الإيمان الواجب وبزوال بعضها يزول كمال الإيمان المندوب .**

**قوله : أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ "**

**لملائكة والإيمان بالكتب السماوية والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره من الله .**

فأوَّل أركان الإيمان هو : الإيمان بالله جل وعلا . وهو يعني : الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه كما خلق الخلق لوحده فهو الوحيد صاحب الحق لوضع قانون ينظم حياتهم ، وأنه وحده المستحق أن يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع وتحاكم ، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها ، المنزه عن كل نقص من صفات المخلوقين ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

فالمؤمن بالله حق الإيمان هو مَن وحده في ربوبيَّته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته .

وتوحيده بربوبيَّته يعني : الإقرارُ بأنَّه سبحانه وتعالى هو وحده خالق الخَلق ، ومالكهم ، ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم ، وضارهم ، ومجيب دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم ، ومعطيهم ، ومانعهم ، ورازقهم ، وكما له الخلق كله له الأمر كله .

وتوحيده بالألوهية : يعني إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة . وهذا يعني : كمال الانقياد والتذلل والخضوع لله وحده لا شريك له .

فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها ، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه .

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى : فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ، وليس العكس ، فانَّ توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعني أنه يوحّده في ألوهيته ، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى . ولكن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق ، ويقر أنه سبحانه هو ، وحده ، المستحق للعبادة ، وأن غيره لا يستحقها ، ولا يستحق شيئاً منها ، يقر في الواقع بأن الله رب العالمين ، وبأن له الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة ، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص .

كذلك المؤمن بالله حق الإيمان هو مَن وحده في أسمائه وصفاته ، وهذا يعني إثبات كلّ ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكييف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء} تنزيه {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} إثبات .فجمع في هذه الآية بين الإثبات والتنزيه ، فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وهكذا يُقال في كلِّ ما ثبت لله من الأسماء والصفات.

والركن الثاني من أركان الإيمان هو : الإيمان بالملائكة :– ويعني التصديق الجازم بأن لله ملائكة ، خَلقٌ من خلق الله ، خُلقوا من نور ، كما في صحيح مسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم مِمَّا وُصف لكم" وهؤلاء الملائكة كما وصفهم الله جل وعلى : عباد مكرمون ، يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها ، وأنهم مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية ، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون ، وأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثا .

فما ورد تعيين اسمه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة [كجبريل وميكال وإسرافيل ورضوان ومالك ] ، وما ورد تعيين نوعه المخصوص كحملة العرش والحفظة والكتبة فيجب الإيمان بهم على التفصيل ، وأما البقية فيجب الإيمان بهم إجمالاً ،والله أعلم بعددهم لا يُحصي عددهم إلا هو.

والملائكة منهم الموكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالقطر ، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بالأرحام، والموكَّلون بالجنَّة، والموكَّلون بالنار، والموكَّلون بغير ذلك، وكلُّهم مستسلمون منقادون لأمر الله.

أما الركن الثالث من أركان الإيمان فهو : الإيمان بكتب الله :- ويعني أن نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ، ونؤمن أنَّها حقٌّ، وأنَّها مشتملة على ما فيه سعادة من أُنزلت إليهم، وأنَّ مَن أخذ بها سلم وظفر، ومن أعرض عنها خاب وخسر، ومن هذه الكتب ما سُمِّي في القرآن، ومنها ما لم يُسمَّ، والذي أخبرنا الله به عز وجل منها [ التوراة والإنجيل والزبور والصحف التي أنزلها على إبراهيم وموسى ] وقد جاء ذكر صحف إبراهيم وموسى في موضعين من القرآن، في سورتَي النجم والأعلى، وزبور داود جاء في القرآن في موضعين، في النساء والإسراء، قال الله عزَّ وجلَّ فيهما: (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورا ) ، وأمَّا التوراة والإنجيل فقد جاء ذكرهما في كثير من سُوَر القرآن، وأكثرهما ذكراً التوراة، فلَم يُذكر في القرآن رسول مثلُ ما ذُكر موسى، ولم يُذكر فيه كتاب مثل ما ذُكر كتاب موسى، ولقد ذُكر بلفظ "التوراة"، و"الكتاب"، و"الفرقان"، و"الضياء"، و"الذِّكر". وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه .

و يجب أن نؤمن أن جميع الكتب التي أنزلها الله نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنيعهم .

ونؤمن أن جميع الكتب ما عدا القرآن قد حرفت ، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله تعالى من التبديل والتحريف والتغيير، وأن القرآن الكريم هو آخر كتاب نزل من عند الله وأن حكمه باق إلى يوم القيامة دون تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، وأنه قد أنزل لجميع الإنس والجن ، وأنه يجب اتباع أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة .

فالإيمان بالكتب التي نزلت قبل القرآن وطرأ عليها التحريف هو التصديق أنها من عند الله في أساسها وليس في وضعها الحالي بعد التحريف ، فوضعها الحالي لا نؤمن بشيء من محتوياته أنه من عند الله إلا بما ذكره القرآن والرسول ﷺ .

أما الركن الرابع من أركان الإيمان فهو : الإيمان برسل الله :- وهو التصديق الجازم بأن لله تعالى رسلا أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم ، يهدون الناسَ إلى الحقِّ، ويُخرجونهم من الظلمات إلى النور، قال الله عزَّ وجلَّ: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ}

والجنّ ليس فيهم رسل، بل فيهم النُّذُر، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ } .

وقد قام الرسل والأنبياء بتبليغ ما أُمروا بتبليغه على التمام والكمال .

والرسلُ منهم من ذكر في القرآن، ومنهم من لم يذكر ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} والذين قُصوا في القرآن خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر جاء ذكرهم في سورة الأنعام ، والسبعة الباقون هم : آدم، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، ومُحَمَّد صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين.

فيجب علينا الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه وسنة رسوله ﷺ على التفصيل ، والإيمان جملة بأن لله رسلاً وأنبياء غيرهم لا يحصي عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا .

أما الركن الخامس من أركان الإيمان فهو : الإيمان باليوم الآخر :- وهو الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابِه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً .

وكل مَن مات قامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، والحياة بعد الموت حياتان: حياة برزخية، وهي ما بين الموت والبعث، والحياة بعد البعث ، والحياة البرزخية لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله، وهي تابعة للحياة بعد الموت؛ لأنَّ في كلٍّ منهما الجزاء على الأعمال، وأهل السعادة منعَّمون في القبور بنعيم الجنَّة، وأهل الشقاوة معذَّبون فيها بعذاب النار.

أما الركن السادس من أركان الإيمان فهو : الإيمان بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

لا يتحقق إيمان العبد بالقضاء والقدر إلا إذا آمن بهذه الأشياء الأربعة :-

١_الإيمان بعلم الله القديم الأزلي وأنه عَلم بأعمال العباد قبل أن يعملوها وكتبه في اللوح المحفوظ

٢_ الإيمان بأن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن وأن ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى . وأن الله لا يرضى لعباده الكفر ولم يأمر به وإنما نهى عنه وأمر بالإيمان ورضي عنه .

إن الله ﷻ يعلم كل ما حصل وسيحصل في الأرض ، فعلمه لا يتغير ولا يتبدل ، فهو عالم بكل شيء عالم به متى يكون وكيف يكون قبل أن يكون . فليس في علم الله ماض ولا حاضر ولا مستقبل كل شيء علمه عنده ، فهو يعلم بالإنسان قبل أن يخلقه كيف يكون بعد أن يخلقه ، هل يؤمن أو يكفر وهل يموت على الإيمان أو الكفر . فإذا كتب الله علمه هذا في كتابه المحفوظ فإن كتابته هذه لا تتغير وسوف تتحقق كما كتبت ، ولكن كتابة في اللوح المحفوظ لا تعني أنه قد أجبر العبد على الإيمان أو الكفر ، فإن الله ﷻ أعطى للعبد حرية اختيار الإيمان أو الكفر ، ولهذا يحاسبه على اختياره فيجازيه أو يكافئه ، فالعبد يختار الإيمان أو الكفر بمحض إرادته التي أعطاها الله له . أما كتابة الله ﷻ أفعال العباد منذ خلقهم إلى مماتهم قبل خلقهم وقبل فعلهم فهذا لا يعني إجبارهم على هذه الأفعال ، وإنما لأن الله يعلم كل شيء وليس في علمه جديد ، فليس في علم الله ماض ولا حاضر ولا مستقبل فعلم الله علم انكشاف ليس علم إجبار ، وكتابته في اللوح المحفوظ كتابة علم لا كتابة إجبار .

٣_الإيمان بأن الله تعالى أوجد جميع الخلق ، وأنه خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد . وأن كل ما سواه مخلوق ، وأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده .

٤- الإيمان بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك"

قوله : " والدليلُ على هذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ "

أي والدليل على أركان الإيمان هو قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

هذه الآية دليل على خمسة من أركان الإيمان وهي : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب السماوية والنبيين أي الرسل .

**الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أي ليس هذا هو البر المقصود من العباد ، لهذا كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف .**

**والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة .**

**﴾ أي البر والخير كله في الإيمان بالله أي الإيمان بتفرده جل وعلا بالربوبية والألوهية ، والأسماء والصفات .**

**خير كله في الإيمان باليوم الآخر وهو كل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به الرسول مما يكون بعد الموت .**

**﴿ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ وكذلك البر والخير كله في الإيمان بالملائكة : أي الإيمان بوجودهم ، وأشرفهم السفرة .**

**ذلك البر والخير كله في الإيمان بالكتب : أي الإيمان بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء والرسل .**

**﴿ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ وكذلك البر والخير كله في الإيمان بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى آخرهم .**

**قوله : ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**

أي ودليل القدر وأنه ركن من أركان الإيمان لا يستقيم الإيمان إلا به ، قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

(كُلَّ شَيْءٍ) يعني ليس ثم مخلوق من مخلوقات الله إلا وقد خلق بقدر سابق من الله جل وعلا ، لا يخرج شيء عن هذه الكلية و(كُلَّ) من ألفاظ العموم، ومنه قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]

أيها الأخوة وقبل أن أنهي الدرس يجب انبه عن مسألة مهمة وهي أن لفظ أركان الإسلام ، ولفظ أركان الإيمان لم يرد في شيء من النصوص ، لم يرد أن للإيمان أركانا، ولا أن للإسلام أركانا، وإنما عبر العلماء بلفظ الركن اجتهادًا من عندهم ، لهذا ينبغي أن تُفهم النصوص على ضوء هذه الحقيقة . ولا شك أن فهم العلماء لأركان الإيمان والإسلام فهم صحيح بلا شك؛ لأن الركن هو ما تقوم عليه ماهية الشيء.

فالشيء لا يتصور قيامه إلا بوجود أركانه ، فإذا تخلف ركن الإيمان بالقدر لم يقم الإيمان أصلًا ، وكذلك إذا تخلف أيّ ركن من أركان الإيمان لم يقم الإيمان ، لأن قيامه مبني على تكامل أركانه.

وهنا يوجد إشكال ، وهو هل إذا تخلف أيّ ركن من أركان الإسلام ينهدم الإسلام كما هو الحال في الإيمان ؟

الحقيقة لا نستطيع أن نطبق هذا على أركان الإسلام كلِها لأن العلماءَ لم يتفقوا على ذلك . لم يتفقوا على أن من ترك غير الشهادتين من أركان الإسلام أنه ليس بمسلم ، مع أنهم اتفقوا على أنه من ترك ركنا من أركان الإيمان فإنه ليس بمؤمن أصلا . لهذا ينبغي أن نفهم –خاصة في مسائل الإيمان والإسلام والتكفير وما يتعلق بها– أن العلماء أتوا بألفاظ للإفهام ، فهذه الألفاظ التي للإفهام لا تحكم على النصوص، وإنما النصوصُ التي تحكم على ما أتى العلماءُ به من اصطلاحات، يعني: يجب أن نفهم الاصطلاحات على ضوء النصوص ، وأن نفهم النصوصَ على ضوء الاصطلاحات.

فلا يقال بالنسبة لأركان الإسلام كما يقال بالنسبة لأركان الإيمان أنه إذا تخلف أي ركن منها يبطل الإسلام كما هو الحال بأركان الإيمان .فالمتفق عليه بين العلماء أنه يكتفى للحكم بالإسلام وجود الشهادتين بشروطها ، وما عداها من أركان الإسلام ففيه خلاف بين العلماء .

لهذا نقول: يمكن أن يسمى مسلمًا من تخلف عنه بعض أركان الإسلام غير الشهادتين ، ولا يصح أن يسمى مؤمنًا إن تخلف عنه ركن من أركان الإيمان .

هذا ولا يُتصور أن يوجد إسلام بلا إيمان، ولا أن يوجد إيمان بلا إسلام.

فكل مسلم لا بد أن يكون معه من الإيمان قدر صحَّح به إسلامه، ولو لم يكن عنده ذلك القدر ما سُمي مسلماً أصلاً، فلا يُتصور مسلم بلا إيمان، فكل مسلم عنده قدر من الإيمان، وهذا القدر هو القدر المجزئ.

وكل مؤمن عنده قدر من الإسلام مصحِّح لإيمانه، فإنه لا يُقبل من أحد إيمانٌ بلا إسلام، كما أنه لا يقبل من أحد إسلام بلا إيمان.

فإذا قلنا: هذا مسلم، فمعناه: أنه وجد إسلامه الظاهر مع أصل الإيمان الباطن، وهو القدر المجزئ.

## الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

نكمل بعون الله شرح ثلاثة الأصول .

قال المصنف رحمه الله : المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، وقولُهُ تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٢١٧)الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ(٢١٩)إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١]

قوله رحمه الله :" المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ "

المرتبة الثالثة من مراتب الدين هي : الإحسان .

الإحسان : لغة : مشتق من الحسن ويطلق على الإتقان والإجادة . أما المعنى الاصطلاحي للإحسان : فهو إتقان الظاهر والباطن أي إتقان الإسلام والإيمان . وهو أعلى المراتب . فإذا أتقن الإنسان وأحسن في إسلامه وأتقن كذلك إيمانه فإنه فسيكون من المحسنين بإذن الله . والإحسان كما عرفه رسول الله ﷺ هو : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) وهو أعلى مراتب العبادة وأعظمُها . وقد ذكره الله في القرآن الكريم في عدة مواضع ، تارة مقروناً بالإيمان ، وتارة مقروناً بالإسلام ، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة :٩٣) وقال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٢)

ومقام الإحسان له ركن واحد وهو : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قوله : وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ "

للإحسان ركن واحد ولهذا الركن مرتبتان :

المرتبة الأولى : مرتبة الاستحضار :أي : أن تعبد الله كأنك تراه . وهي مرتبة المحبة والتطلع والشوق وهي أكمل من المرتبة الثانية .فهي استحضار العبد أنه بين يدي الله . مطلع عليه ، عالم بحاله ، يرى ويبصر ما يعمل، يعلم ظاهر عمله وخفيه، يعلم خلجات صدره ، ويعلم تحركات أركانه وجوارحه .

أما المرتبة الثانية لركن الإحسان فهي : مرتبة الإطّلاع : وهي : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " أي أن تعبد الله وتشعر أنه مطلع عليك ويراقبك ، وهذا بلا شك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، كما جاء في رواية أبي هريرة ﷺ : ( أن تخشى الله كأنك تراه ) ، وهذا الشعور يجعلك أن تكون عابداً لله على النحو الذي يرضاه وأمر به على لسان رسوله ﷺ

قوله : والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]

أي الدليل على مرتبة الإحسان قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

المعية هنا معية خاصة بالمتقين والمحسنين .معية حفظ وتأييد .

﴿ مُّحْسِنُونَ ﴾ : أي متقنون الأعمال والاعتقادات حسب شرع الله وما يرضيه .

أي أن الله عز وجل مع عباده الذين اتقوا المنهيات ، والذين هم محسنون في العمل لا يخلطون معه أي نوع من أنواع الشرك . فإن من كان حاله كذلك فإن الله سيحفظه ويؤيده وينصره ويوفقه .

قوله : وقولُهُ تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

أي والدليل أيضاً على مرتبة الإحسان قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

في هذه الآية الكريمة ذكرت رؤية الله جل وعلا لنبيه حال عبادته له ، وأنه يراه في جميع أحواله حين يقوم وتقلّبه في الساجدين من صحابته أثناء صلاته بهم عليه الصلاة والسلام . وهذا دليل المرتبة الثانية من ركن الإحسان: وهي مرتبة الإطّلاع .

قوله : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي يطلع عليك ويراقبك . وهذا يورث الإحسان في الإسلام والإيمان .

قوله : وقولُهُ تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

أي والدليل أيضاً على مرتبة الإحسان قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

أي وما تكون يا محمّد ، في عمل من الأعمال ، وما تتلو من الله من قرآن نازل ، ولا تعملون من عمل أنت وأمتك ﴿ إِلَّا كُنَّا ﴾ أي إلا ونحن عليكم شهوداً ، مشاهدون لكم ، راءون سامعون ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي تأخذون في ذلك الشيء .

قال المصنف رحمه الله : والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر ﷺ قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: «يا مُحَمَّدُ؛ اَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام» فقال رسولُ الله ﷺ: « الإِسْلاَمُ أن تَشْهَدَ أَن لا إلَهَ إلاَّ ا لله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ا لله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»، قال: «صَدَقْتَ». فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه ! قال: «فأخبرني عن الإيمان ؟»، قال:«أنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرْ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه»، قال: «صدقت». قال: «فأخبرني عن الإحسان؟» ، قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهْ فَإِنَّهُ يَرَاكْ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعة؟» قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟» قال: «أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ». ثمّ انطَلَق. فَلَبِثتُ مَلِيا، ثمّ قال:« يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ ».

بعد أن ذكر رحمه الله الدليل على مرتبة الإحسان من القرآن الكريم ذكر الدليل من السنة، وهو حديث جبريل المشهور . وغالب هذا الحديث قد تقدم شرحه . وبهذا قد انتهى المصنف رحمه الله من ذكر الأصل الثاني من أصول دين الإسلام وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة .ثم انتقل إلى الأصل الثالث وهو معرفة نبينا محمّد ﷺ .

قال المصنف رحمه الله : الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ ﷺ: وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٍ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلى نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ، وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثُ وعشرون ، نبيّا رسولا، نُبِّئَ بِـ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)، وبلدُهُ مكّةَ، وبعثَهُ اللهُ بالنَّذَارةِ عنِ الشِرك، ويدعُو إلى التّوحيدِ، والدليلُ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا

الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١-٧] ومعنى (قُمْ فَأَنذِرْ) يُنْذِرُ عنِ الشِّركِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنِ الشِّركِ، (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلَها، والبراءَة منها وأهلِها.

أخذَ على هذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ، وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمس ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ .

قوله : : " الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ ﷺ "

أي الأصل الثالث من الثلاثة أصول التي يجب على الإنسان معرفتها هو معرفة نبيُنا مُحَمَّد ﷺ .

والمراد بالمعرفة هنا العلم به وبحاله وبنسبه وكيف بعث وأين بعث وكم عاش ، وما يتصل بذلك من بعض المباحث.

قوله : " وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٍ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلى نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ "

مُحَمَّد ، معناه كثير الخصال التي يستحق عليها الحمد . ولقد سماه بهذا الاسم جده عبد المطلب آملا أن يكون من أهل خصال الخير ، التي يكثر من أجلها حمد الناس له عليها وقد حصل هذا بفضل الله ومنه . فقد كان يشهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء .

رسول الله ﷺ من خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة ، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم ، فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف الأفخاذ فخذه . فهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٍ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ وهذا لا خلاف فيه . فقريش أفضل العرب وصفوتهم وأفضل قريش بنو هاشم ، وأفضل بني هاشم مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، فهو كما قال عليه السلام في الحديث الصحيح «فأنا خيار من خيار من خيار».

قبيلة قريش من العرب ، والمراد بالعرب العرب المستعربة ، لأن العرب قسمان :عرب عاربة: وهؤلاء انقرضوا إلاّ قحطان في اليمن.

وعرب مستعرِبة: وهم الذين لم يكونوا أصلا من العرب ، لكنهم دخلوا وصاروا عربا بانفتاق لسانهم عن العربية ، وبتكلمهم بالعربية ، وأكثر قبائل العرب من هذا الجنس ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:«أول من فُتِق لسانُه بالعربية الفصحى إسماعيل عليه السلام»

قوله : (والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليلِ) يعني أن قبائل العرب، القبائل المعروفة ؛ قريش ، وهذيل ، وبنو تميم، وبنو دوس إلى آخره ، هؤلاء جميعاً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام .

قوله : " وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثُ وعشرون ، نبيّا رسولا، نُبِّئَ بِـ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)، وبلدُهُ مكّةَ "

ولد سيدنا مُحَمَّد ﷺ بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين / التاسع من شهر ربيع الأول / عام الفيل . وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول .وتوفي أبوه عبد الله وهو في بطن أمه على أصح الأقوال .فلما كمل له أربعون ، أشرق عليه نور النبوة وأكرمه الله تعالى برسالته ، وبعثه إلى خلقه ، ولا خلاف في أن مبعثه ﷺ كان يوم الاثنين ، واختلف في الشهر المبعث فيه : فقيل في ربيع الأول ، وهذا مذهب طائفة كبيرة من العلماء .وقيل بل كان ذلك في رمضان ، واحتج هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾

( نبئ بإقرأ ) أي كان نبياً حين نزل عليه في غار حراء قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ... ﴾

(وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)) أي صار رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ... ﴾ فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله .

قوله " وبلدُهُ مكّةَ " : أي ولد عليه السلام في مكة ونشأ فيها عدا المدة التي أمضاها مع مرضعته السعدية في البرية ، ثم رجع إلى مكة في حضانة جده ، ثم عمه ، وأوحي إليه فيها ، وبقي فيها ثلاث عشرة سنة بعد أن أوحي إليه ، ثم هاجر إلى المدينة لما قررت قريش قتله ، لما نزل جبريل إليه فأخبره بمؤامرة قريش ، وأن الله قد أذن له في الخروج . فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول ، وقيل في صفر ، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة ، وكان معه أبو بكر الصديق ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي ، فأقام في غار ثور هو وأبو بكر ثلاث أيام ، ثم أخذ طريق الساحل حتى وصل المدينة . توفي ﷺ يوم الاثنين /١٢/ربيع الأول/١١هـ ، وقد تم له ثلاث وستون سنة ، وذلك بعد أن تكاملت الدعوة ، وسيطر الإسلام على الموقف.

قوله : " وبعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّركِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ "

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله جملة مما يعرف به النبي ﷺ ذكر أعظمها وأعلاها وهو : معرفة ما بعث به النبي ﷺ ، وهو بعثته بالنذارة عن الشرك ، والدعوةِ إلى التوحيد .

(النذارة عن الشرك ) أي النهي عن الشرك والتخويف من عاقبته في الدنيا والآخرة .

كما قال تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت:١٣]

قدم رحمه الله الإنذار والنهي عن الشرك على الدعوة إلى التوحيد ، لأن هذا مدلول كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله ) ، وهو أيضاً المفهوم من قوله تعالى (قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، (قُمْ فَأَنذِرْ) يعني أنذر عن الشرك ، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي عظمه بالتوحيد .

ومن القواعد المقررة أن التَّخْلِيَة تسبق التَّحْلِيَة . الإنذار عن الشرك تخلية، والدعوة إلى التوحيد تحلية .

فلا يمكن أن يحل التوحيد في قلب فيه شرك أكبر ولا يُقبل عمل بوجود شرك أكبر .

قوله : والدليلُ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١-٧]

أي والدليل على أن الله سبحانه وتعالى بعثَهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّركِ، والدعوة إلى التَّوحيدِ قوله تعالى : " ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

فهذه أول آية أرسل بها ، وأول أمر طرق سمعه في حال إرساله ﷺ . فبهذه الآية الكريمة أرسل وبآية أقرأ التي قبلها نبئ .

قوله : ومعنى (قُمْ فَأَنذِرْ) يُنْذِرُ عنِ الشِّرْكِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ .

الإنذار إعلامٌ فيه تخويف عن شيء يمكن تداركه، لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار . فالإشعار : إعلام فيه تخويف، لكن مدة استدراكه قليلة . أما الإعلام: فهو مجرد إيصال العلم .

جميع الرسل على الإطلاق كانت أو وظيفة لهم الدعوة لترك الشرك والتحذير من عواقبه والدعوة إلى توحيد الله وبيانه وتوضيحه.

كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال أيضا : ﴿ ولقد بعثنا في كل قرية رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

ولقد جاء في القرآن الكريم أن نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب صلوات الله عليهم كان أول شيء بدءوا به قومهم قولهم : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾

وكذلك فعل خاتم الأنبياء والرسل مُحَمَّد ﷺ فأول شيء دعا إليه قوله : ( قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ) فقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ .

وقال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : ( فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ) وفي رواية : ( إلى أن يوحدوا الله ) وفي رواية : ( فادعهم إلى توحيد الله ) .

فالتوحيد هو الأصل ، وبقية شرائع الدين فرع عنه ، فإذا زال الأصل زال الفرع.

قوله : " (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ "

" وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ " أي خُصَّ ربك بالتكبير ، أصل الكلام: كبِّر ربك. قدَّم المفعول على العامل فيه وهو الفعل ، فدل على الاختصاص لأنه قدم المفعول .

فسر المصنف رحمه الله قوله تعالى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي عظّمه بالتوحيد .

فتكبير الله كما جاء في القرآن الكريم يقتضي : تكبيره في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وفي قضائه وقدره الكوني وفي شرعه وأمره .

تكبيره في ربوبيته يعني : الإعتقاد الجازم بأن الله أكبر من كل شيء في مقتضيات ربوبيته أي : أكبر من كل شيء يُرى أو يُتوهم أو يُتصور أنه موجود ، أكبر في ملكه ، في تصريفه لأمره ، أكبر في خلقه ، في رزقه ، في إحيائه، في إماتته . إلى آخر معاني الربوبية .

تكبيره في ألوهيته : يعني أنه أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلهية والعبادة وحده دونما سواه .

أما تكبيره في أسمائه وصفاته فيعني : أنه أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته من ناحية الحسن، والبهاء، والعظمة، والجلال، والجمال ونحو ذلك . فقد قال تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الروم:٢٧]، وقال أيضا ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل:٦٠] وقال أيضا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، وقال أيضا ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]وقال أيضا : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.)

أما تكبيره في قضائه وقدره الكوني فيعني : أنه له الحكمة البالغة في قضاءه وقدره.

أما تكبيره في شرعه وأمره فيعني : الاعتقاد الجازم بأن الله جل وعلا أكبر فيما أمر به ونهى ، وفيما أنزله من هذا القرآن العظيم، أكبر وأعظم من كل ما يشرعه ويحكم به العباد .

لهذا كله فإن كلمة (الله أكبر) من شعارات المسلمين العظيمة، يدخلون في الصلاة بها، ويرددونها في الصلاة، وهي من الأوامر الأولى التي جاءت للنبي عليه الصلاة والسلام، عندما قال تعالى له (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ).

ولكن مع الأسف اليوم حالها كحال كلمة التوحيد تقال دون أن يدرك قائلها وسامعها ما تعني ، لهذا لا يخشاها الطواغيت بل يعطون قائلها من أئمة المساجد والمؤذنين الأجر على ذلك . فهل من يعتبر من يحكم بغير شرع الله ولي أمر قد فهم كلمة " الله أكبر " هل برئ من الشرك وكبر الله ؟ وهل من اقسم اليمين على إحترام القوانين التي تخالف شرع الله برئ من الشرك وكبر الله ؟ وهل من أعطى حق التشريع للبشر مع الله كما هو الحاصل بما يسمى بالبرلمانات التشريعية قد برئ من الشرك وكبر الله ؟ لا وألف لا .

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )

و " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ " اللهم هل بلغت اللهم فاشهد .

قوله : " (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنِ الشِّرك "

إختار رحمه الله أحد التفسيرين المنقولين عن السلف حيث فسر الثياب بالعمل .

الثوب أصله في اللغة ما يثوب إلى صاحبه، يعني ما يرجع إلى صاحبه، سمي اللباس ثوبا، لأنه يرجع إلى صاحبه في التباسه به حال لبسه، هذا أصل الثوب، ولهذا يقال للعمل أيضا ثوب باعتبار أنه يرجع إلى صاحبه، لهذا فسر رحمه الله قوله تعالى هنا ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي طهر أعمالك) فسر الثياب بالأعمال، لأنها راجعة إلى صاحبها باعتبار أصلها اللغوي، أو يقال إن العمل مشبه بالثوب لملازمته لصاحبه، فالثوب يلازم لابسه، والعمل كذلك يلازم عامله . وهذا التفسير أنسب ها هنا، لأنه يناسب ما قبله وما بعده، فإن ما قبله فيه الإنذار وتعظيم الله بالتوحيد، وما بعده فيه تركٌ للرُّجْزِ وهجر للأصنام والبراءة منها .

قوله : " (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلَها، والبراءَة منها وأهلِها. "

الرّجز: اسم عام لما يعبد من دون الله، فقد يكون صنما، وقد يكون وثنا .

الأصنام: جمع صنم، والصنم اسم لما عُبِد من دون الله، مما كان على هيئة صورة وأما الوثن فيشمل الصنم وغير الصنم ، يعني ما له صورة مما عبد من دون الله وما ليس له صورة .

ثم فسر رحمه الله ما المقصود من هجرها فقال : "وهجرُها تَرْكُها وأهلَها، والبراءَة منها وأهلِها." أي المقصود من هجر الأصنام تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلِها. وهذا يقتضي تكفير أهلها وتكفير من لم يكفرهم . وهذا هو معنى " لا إله " وكذلك معنى " الكفر بالطاغوت "

قوله : " أخذَ على هذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ "

أي أخذ رسول الله ﷺ في بيان التوحيد والدعوة إليه ، وبيان الشرك والإنذار عنه والتحذير منه عشر سنين ، قبل فرض الصلوات الخمسة ، وقبل بقية الشرائع ، وبهذا يتبين لنا أهمية التوحيد والدعوة إليه .

كانت الصلاة المفروضة في العشر سنين الأولى للبعثة صلاتين في اليوم والليلة، أحدها في إقبال النهار فجراً ، والأخرى في إقبال الليل بعد الغروب .

قوله : وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمس ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ .

المعراج معناه الصعود (عُرج به إلى السماء) يعني صُعد به إلى السماء . فإنه عليه الصلاة والسلام أسري به تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس ، وبعد ذلك عُرج به إلى السماء

فقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أتي بالبراق حتى جاء بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماء ، فوجد في السماء الأولى آدم ، وفي السماء الثانية عيسى ويحيى ، وفي السماء الثالثة يوسف ، وفي السماء الرابعة إدريس ، وفي السماء الخامسة هارون ، وفي السماء السادسة موسى ، وفي السماء السابعة إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، ثم رجع من ليلته ... ) . متفق عليه

الإسراء والمعراج كان من مكة باتفاق أهل العلم ، وبنص القرآن والسنة المتواترة ، والجمهور على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والبدن يقظة لا مناماً . قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[الإسراء:١]

قوله : " وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمس "

أي فرضت عليه الصلوات الخمس في السماء في حادثة المعراج في السنة العاشرة للبعثة

قوله : " وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ ."

يعني صلى الرسول ﷺ الصلوات الخمسة في مكة بعد فرضها عليه في حادثة المعراج ثلاث سنين ، ثم بعد ذلك أمر بالهجرة إلى المدينة .

## الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله.

نكمل بعون الله شرح ثلاثة الأصول .

قال المصنف رحمه الله :" وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشّركِ إلى بلدِ الإسلامِ ، والهجرةُ فَرِيضةٌ على هذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ الشّركِ إلى بلدِ الإسلامِ ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٩٧)إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا(٩٨)فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٧-٩٩]، وقوله تعالى ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦]

قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»."

قوله : " وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ."

أي بعد ثلاث سنوات من فرض الصلوات الخمس على النحو الذي نصليه اليوم ، أمر عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة المنورة حتى يتمكن من إظهار دينه والدعوة إليه .

قوله : " والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشّركِ إلى بلدِ الإسلامِ "

بعد أن ذكر رحمه الله أمر الهجرة إلى المدينة أراد أن يفسر معنى الهجرة بشكل عام فقال رحمه الله : " والهجرةُ : الانتقالُ مِنْ بلدِ الشّركِ إلى بلدِ الإسلامِ "

الهجرة : لغة : الترك .

أما المعنى العام الاصطلاحي للهجرة فهو : ترك ما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به . وأما تعريف الهجرة بالمعنى الخاص : فهو : " الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، ومن بلد البدعة إلى بلد السنة ومن بلد الظلم إلى بلد العدل . وبلد الشرك أو بلد الكفر هي : البلد التي يحكم فيها بغير شرع الله ولو كان فيها مسلمون وسُمح فيها بظهور شعائر الإسلام كصلاة وآذان والصيام والحج وما شابه ذلك مما لا يؤثر على حكم الطاغوت . بل قد يسمح بها الطاغوت ( الحاكم بغير شرع الله ) لإعطائه شرعية ولي أمر المسلمين .

وحتى لو أعلن الحاكم فيها أنه مسلم ، فالدار التي يحكم بها بغير شرع الله هي دار كفر وحرب ، حاكمها طاغوت ، وظاهر من يعيش فيها ممن لا يُعرف تحقيقه للتوحيد ، الكفر ، تبعاً للدار ، ولا يكفي للحكم على مجهول الحال في دار الكفر أو الحرب بالإسلام ، مجرد ظهور بعض العلامات المشتركة بين المسلمين والمشركين منه ، كشعائر الإسلام اليوم ، فالعلامة إذا أصبحت مشتركةً بين المسلم والكافر لا تكفي للتميز بينهما ، أي لا تعتبر علامة كافية في الحكم على الأشخاص مجهولي الحال . فمجهول الحال يأخذ حكم تبعية الدار حتى تظهر منه علامة فارقة تثبت عقيدته .

قوله : " والهجرةُ فَرِيضةٌ على هذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ الشّركِ إلى بلدِ الإسلامِ ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ "

الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ومن بلد البدعة إلى بلد السنة ومن بلد الظلم إلى بلد العدل ، باقية إلى أن تقوم الساعة وهي فرض على من لا يستطع إظهار دينه من المسلمين إلى يوم القيامة .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

عن ابن عباس ﷺ أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يُضرب فيقتل ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ . (رواه البخاري)

وعن ابن عباس ﷺ قال : " كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية، قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم ." ( أخرجه ابن أبي حاتم )

فهذه الآية الكريمة تبين حكم من لم يتمكن من إقامة الدين لإقامته بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة . فتبين أنه ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع لتركه الهجرة وهو قادر عليها ، أما الآية التي بعدها فتبين حكم من لم يستطع الهجرة .

قوله تعالى : ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي ظالمي أنفسهم مرتكبين حراماً بتركهم الهجرة .

﴿ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي قالت لهم الملائكة لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ؟

﴿ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي لا نقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض فأجابتهم الملائكة ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً ﴾ فتهاجروا فيها.

قوله تعالى " فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"

أي من لم يستطع إقامة دينه لإقامته بين ظهراني المشركين فلم يهاجر وهو قادر على الهجرة فإن جهنم ستكون مأواه لمدة يستحقها لأنه ترك فرضاً من فروض الله .

قوله تعالى : " إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ."

هذه الآية الكريمة بينت حكم من لم يستطع الهجرة .فالمستضعفين من الرجال والنساء الذين لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولا يعرفون الطريق للهجرة ، فهؤلاء يتجاوز الله عنهم بترك الهجرة .

المقصود من الاستضعاف هنا هو عدم استطاعة إظهار الدين بحرية كاملة .وهذا هو السبب الرئيسي للهجرة . لأن المؤمن يجب عليه أن يُظهر دينَه، معتزاً بذلك ، مبيناً للناس ما هو الدين الذي يرضاه الله ، وهذا الإخبار يكون بالقول والعمل . فإذا لم يستطع أن يظهر دينه ولم يستطع أن يهاجر فيجوز له أن يخفي دينه بدون أي يقع في الشرك .

قوله : وقوله تعالى ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

أي والدليل على أن الهجرة فرض على المسلمين إلى يوم القيامة قوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم .

وفي هذه الآية ناداهم الله جل وعلى باسم الإيمان ، فهذا يدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان ، وهذا يعني أن ترك الهجرة ليس شركاً أكبر، وليس كفراً أكبر ، وإنما هو معصية من المعاصي .

قوله : " قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ."

أي نزلت هذه الآية في الذين لم يهاجروا من مكة ناداهم الله باسم الإيمان ، وهذا يدل على أن ترك الهجرة من مكة ليس كفرا ولا شركا ، وأن قوله تعالى في الآية التي قبلها (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) لا يعني الخلود في النار وإنما دخولهم النار لأجل أنهم تركوا واجبا من الواجبات ، وارتكبوا كبيرة من الكبائر . فتركهم للهجرة مع إيمانهم بوجوبها لا يسلب منهم الإيمان .

قوله : " والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

هذا الحديث الشريف يدل على أن الهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها . فهذا الحديث دليل واضح أن الهجرة فرض على المسلمين حتى قيام الساعة .

أيها الأخوة : الهجرة أنواع ولكل منها حكمه .

النوع الأول – الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام . وهي واجبة على من لا يستطيع إظهار دينه في بلد الشرك وكان قادراً على الهجرة . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ بترك الهجرة مع القدرة عليها . أما إن كان في بلاد الشرك قادراً على إظهار دينه ويأمن على نفسه فالجمهور على أنه يستحب له الهجرة .

النوع الثاني : الهجرة من بلد البدعة إلى بلد السنة. وهذه أيضاً واجبة .

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام :٦٨ )

طبعاً حكم الهجرة هنا للذي لا يستطيع إظهار السنة في هذا البلد ولا يأمن على نفسه أن تجري عليه البدعة ففي هذه الحالة يجب أن يهاجر ، أما إن استطاع أن يظهر السنة فالهجرة عليه ليست واجبة وإنما يستحب له أن يهاجر إلا إن كان في البقاء مصلحة للمسلمين فله أن يبقى .

النوع الثالث . الهجرة من بلد الخوف والظلم .

فإذا كان في بلد يضطهد به حال قيامه بالدين ، وعند قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فله في هذه الحالة أن يهاجر لبلد آخر يستطيع أن يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر .

والدليل على ذلك فرار إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الصافات :٩٩ )

وكذلك فعل نبي الله موسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص :٢١

النوع الرابع : إذا وجد اضطهاد للمسلمين وليس هناك بلد إسلامي يهاجرون إليه هاجروا إلى أي بلد آمن حتى ولو كان كافراً . كما حصل للصحابة عندما هاجروا من مكة إلى الحبشة .

أما من كان يستطيع أن يظهر دينه في دار الحرب ، ولكن كان المسلمين بحاجة إليه في دار الإسلام فيجب عليه أن يهاجر إلى دار الإسلام ما لم يأمره الخليفة بالبقاء . وهذه الهجرة حكمها حكم الجهاد .

ويجب أن لا ننسى أن الهجرة في هذه الآونة قد تكون صعبة بسبب مسائل الحدود والإقامة والقوانين الوضعية .وعلى هذه الحالة تعطى الأحكام .

قال المصنف رحمه الله :" فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ. أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ وبعدَها تُوُفِّيَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ودينُهُ باقٍ. وهذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه، والخيرُ الذي دلَّهَا عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ. والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

قوله : " فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ."

أي فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واستقر بها وأقام دولة الإسلام فرضت عليه بقية شرائع الإسلام مثلُ الزكاةِ والصلاةِ والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام .

فرضت الزكاة المعروفة ذات النصاب والشروط في السنة الثانية من الهجرة ، أما جنس الزكاة فقد فرض في مكة ، قال تعالى في آخر سورة المزمل وهي مكية : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[المزمل:٢٠]

فالزكاة المأمور بها هنا ليست الزكاة التي فرضت في المدينة ، الزكاة المأمور بها هنا في هذه الآية غير محدودة ، لا بقدر ، ولا بصفة ، وإنما يصدق عليها اسم الزكاة .

أما صوم شهر رمضان فقد فرض في السنة الثانية من الهجرة ، وهي السنة التي كانت فيها وقعة بدر ، قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة:١٨٥]

أما (الحج ) فقد اختلف في زمن فرضه ، فقد قال بعض أهل العلم فرض في السنة السادسة للهجرة ، وهي السنة التي نزل فيها قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٦]، ومنهم من قال أنه لم يفرض إلا في السنة التاسعة

للهجرة ، وهذا هو الصحيح ، فإن الحج فرض متأخرا، وذلك بعد فتح مكة، فأُمر النبي ﷺ بالحج في سورة آل عمران ، وهذه السورة نزلت في عام الوفود ، وهي السنة التاسعة للهجرة ، ولكن لم يستطع النبي ﷺ الحج في تلك السنة ، فأمر أبا بكر أن يحج بالناس، وبعث معه عليا رضي الله عنهم أجمعين، ثم حج عليه الصلاة والسلام بعد ذلك في السنة العاشرة للهجرة حِجته اليتيمة ولم يحج بعدها.

أما (الأذان) فقد فُرض في أول العهد المدني.

وأما (الجهاد) فقد كان فرضه بالتدريج .

قوله : "والأمرِ بالمعروفِ والنهي عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ."

وكذلك فرض على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المدينة أصبحت دار إسلام فهم متمكنون فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخلاف مكة حين ذاك ، وهذا من رحمة الله عز وجل أن أجل هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة .

إذاً شرائع الإسلام الظاهرة فرضت في المدينة، وأما في مكة فمكث عليه الصلاة والسلام ، يدعو إلى التوحيد ، وينهى عن الشرك عشر سنين، ثم فرضت الصلوات الخمس في السنة العاشرة للبعثة ، وأما بقية شعائر الإسلام الظاهرة فقد فرضت في المدينة، حتى تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا ونحو ذلك، كان في المدينة، وهذا يدلك على عظم شأن التوحيد في هذا الدين، فقد مكث رسول الله ﷺ يدعوا للتوحيد ونبذ الشرك ثلاثة عشرة سنة مع أنه أمر واحد ، بينما شعائر الإسلام التي فرضت بعد ذلك في مدة عشرة سنين تعد بالمئات فهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عظم وأهمية التوحيد . وأن غيره من أمور الإسلام الظاهرة يليه في الأهمية لأن قبولها يعتمد على صحته . لهذا نرى شياطين الإنس وأتباعَهم من علماء الطواغيت يحرصون كل الحرص على عدم الدعوة للتوحيد الخالص ، ويشغلون الناس بأمور الشريعة وتفرعاتها قبل أن يحققوا التوحيد . بل نجد الطواغيت يفتحون كليات الشريعة ويصرفون عليها وعلى أساتذتها الشيء الكثير ، ليعلموا الناس ما يريدونهم أن يتعلموا من دين الله . والمتفحص لمناهج هذه الكليات يجدها خالية من التوحيد الخالص بل تجد كثيراً من أساتذتها يحرصون على تحريف التوحيد إذا لم يستطيعوا إبعاد التلاميذ عن تعلمه ، ويشغلوهم بأمور فرعية من الدين ينقضي عمرهم وهم يبحثون فيها .

قوله : " أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ وبعدَها تُوُفِّيَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ودينُهُ باقٍ."

يعني مكث في المدينة عليه الصلاة والسلام عشر سنين يدعو إلى التوحيد وإلى أمور الإسلام الظاهرة . ثم توفي عليه الصلاة والسلام ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها ، ودينه باق إلى قيام الساعة، لا يقبل الله جل وعلا من أحد دينا إلا هذا الدين .

قوله : (وهذا دينه) : يعني هذا الذي وصف لك فيما قبل في هذه الرسالة هو دينه ؛ وهو معرفة العبد ربه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه ﷺ.

قوله :" لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه ."

أي أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يترك هذه الأمة إلى الرفيق الأعلى إلا ودلها على كل خير يقرب إلى الله وحذرها من كل شر يغضب الله . لهذا فمن أراد أن يعرف الخير والشر فعليه أن يتعلم دين محمد ﷺ.

فلا حاجة للمسلم أن يتعلم الخير والشر من غير دينه . وكلما زادت معرفة المسلم بدينه زادت معرفته بالخير والشر .

قوله : "والخيرُ الذي دلَّها عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ. والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ."

لقد علمنا رسولنا عليه الصلاة والسلام كل خير ، وأساس هذا الخير وأعلاه هو التوحيد ، فبينه لنا بياناً شافياً وافياً يفهمه بسهولة كل من له عقل ؛ وكذلك بين لنا كل ما يحبه الله ويرضاه من أكبر شيء إلى أصغر شيء ، وحذرنا من كل شر ، وأكبره وأعظمه الشرك ، فبين لنا أنواع الشرك كلها ، وكذلك بين لنا أنواع المعاصي والآثام كلها ، ولا شر كان أو لا شر سيكون في هذه الأمة إلا حذرها منه ، فالحجة قائمة على أمته ، وسيكون عليه الصلاة والسلام شهيداً على هذه الأمة ، بأنه بلَّغهم الرسالة ، ودلهم على كل خير يحبه الله ويرضاه ، ونهاهم عن جميع أنواع الشرك وكل شر يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

أيها الأخوة : وحتى لا أطيل عليكم أكتفي بهذا القدر في هذا الدرس .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يبصرنا بالحق وأن يمن علينا بالالتزام به ، وبالثبات عليه ، حتى يتوفانا وهو راضٍ عنّا .

اللهم آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله.

نكمل بعون الله شرح ثلاثة الأصول .

قال المصنف رحمه الله : " بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعتَه على جميعِ الثّقلين: الجنّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، وكمَّلَ اللهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٠٣]. والدليلُ على موتِهِ ﷺ قولُهُ تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(٣٠)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠-٣١]. والناسُ إذا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥]، وقولُهُ تعالى

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧-١٨]، وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٠٧].

قوله رحمه الله :" بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّة " أي أرسل الله سبحانه تعالى رسولَنا مُحَمَّداً صلى الله عليه سلم إلى الناس جميعاً .

فجميع الناس بعد بعثته ﷺ هم أمته لدعوة . ومن أطاعه فهو من أمة الاستجابة .

قوله رحمه الله :" وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلينِ: الجنّ والإنس "

أي وافترض الله سبحانه وتعالى طاعة رسلنا مُحَمَّد ﷺ على جميع الثقلين الإنس والجن ، وقرن طاعته بطاعته في غير موضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٠)

قوله رحمه الله : والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]

أي والدليل على أن الله سبحانه وتعالى أرسل مُحَمَّداً ﷺ للناس جميعاً قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

يقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة لنبيه ورسوله مُحَمَّد ﷺ {قل} قل يا مُحَمَّد { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } هذا الخطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ، قل لجميع الناس { إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } أي أخبركم أيها الناس أن الله سبحانه وتعالى أرسلني رسولاً إليكم جميعاً .

روى البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية : عن أبي الدرداء ﷺ قال : كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضباً فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ «أما صاحبكم هذا فقد غامر» أي غاضب وحاقد. قال وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر قال أبو الدرداء فغضب رسول الله ﷺ ، وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت» وهذا الحديث انفرد به البخاري.

والأدلة على أن رسول الله ﷺ أرسل إلى الناس جميعاً كثيرة ، منها :

قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً ﴾

وقال رسول الله ﷺ : ( أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ( ثم ذكر منها ) : ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ) . متفق عليه

وقال ﷺ أيضاً : ( لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا دخل النار ) . رواه مسلم

فهذه الأدلة تثبت بشكل يقيني أن رسولنا مُحَمَّداً ﷺ أرسل إلى الناس كافة وأن جميع الناس هم أمته ، أمة الدعوة . وأنهم جميعاً ملزمون بالإيمان به وإتباعه .

قوله رحمه الله : " وكمَّلَ اللهُ به الدينَ "

أي إن الله سبحانه وتعالى كمَّل دينه ببعثة مُحَمَّد ﷺ ، فليس في دين مُحَمَّد ، أي نقصان ، ولا يقبل الزيادة إلى يوم القيامة ، فمن أراد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فيجب عليه أن يتقرب عن طريق رسوله ﷺ، وذلك بإتباع ما أمر به رسوله محمدٌ ﷺ . فلا سبيلَ للتقرب إلى الله إلا هذا السبيل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

قوله رحمه الله: والدليلُ قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

أي والدليل على أن الله سبحانه وتعالى أكمل دينه بإرسال مُحَمَّد ﷺ : قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

فهذه الآية أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل بها لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه .

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يعلن كمال العقيدة وكمال الشريعة معاً . فهذا هو الدين . لهذا فلم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال ، ولا قصوراً يستدعي الإضافة ، لا محلية أو زمانية ، وإلا فما هو بمؤمن ، وما هو بمقر بصدق الله ، وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين .

ليعلم كل الناس أن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن ، هي شريعة كل زمان ومكان ، فالله هو الذي خلق الإنسان ويعلم من خلق ، وهو الذي رضي له هذا الدين ، المحتوي على هذه الشريعة . فمن ترك شريعة الله وقوانينَه وطبق شريعة البشر على الناس في الدماء والفروج والأموال ، فهو لم يرض بشريعة الله ودينه الذي ارتضاه الله للمؤمنين . مهما ادعى عكس ذلك . فعمله يكذب كل إدعاء .

قوله رحمه الله : والدليلُ على موتِهِ ﷺ قولُهُ تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

يجب على كل مسلم أن يعتقد يقيناً أن مُحَمَّداً عليه الصلاة والسلام قد مات كموت بقية الناس وانقطع عن الدنيا ، وهو الآن في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية، فهو بهذا المعنى حي ، حياته أكمل من حياة الشهداء، ولكنه بالنسبة للدنيا انقضى أجله ومات ، وغسل وكفن وصلي عليه ، ودفن في ضريحه بالمدينة .

فموته ﷺ معلوم بالسمع والمشاهدة ، مشهور يعلمه العام والخاص . ومن اعتقد غير ذلك فقد خالف صريح القرآن .

والدليل على ذلك قولُهُ تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

قوله (إِنَّكَ مَيِّتٌ) يعني ستموت (وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) إنهم سيموتون، (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يعني : إنكم جميعاً أنت وهم يوم القيامة (عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) أي يوم القيامة ستختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل ، فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين. ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.

وقد جاء في آية أخرى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤]

وقد ثبت في الدليل الصحيح أن أبا بكر ﷺ عندما مات رسول الله ﷺ وقف خطيباً في الناس وقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ).

ومعنى الموت : مفارقة الروح الجسد أي خروجها في هذه الحياة الدنيا ، وليس معنى الموت هو فناء الروح ، فإن الروح لا تفنى ، وإنما تنتقل إلى الملأ الأعلى إن كان مؤمناً أو إلى ما شاء الله من العذاب إن كان غير ذلك .

قوله رحمه الله : "والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ "

لما ذكر المصنف رحمه الله موتَه عليه الصلاة والسلام كان من المناسب أن يذكر البعث ، مع أن مكان موضوع البعث في بحث اليوم الآخر وقد مر في الأصل الثاني .

الإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان الستة ، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين .

قوله رحمه الله : والدليلُ قولُهُ تعالى﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾

أي والدليل على أن الناس سيبعثون بعد مماتهم قوله تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾

( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ) أي من الأرض خلقناكم أيها الناس ، فأنشأناكم أجساماً ناطقة ( وَفِيها نُعِيدُكُمْ ) أي وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم ، فنصيركم ترابا ،كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشراً سوياً (وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ ) أي ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم ، أحياء ، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أوّل مرّة .

قوله رحمه الله : وقولُهُ تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧-١٨]

أي والدليل أيضاً على أن الناس سيبعثون بعد مماتهم قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾

(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ) يعني والله أنشأكم من تراب الأرض ، فخلقكم منه إنشاء . (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ) يعني ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم تراباً فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم ( وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ) يعني ويخرجكم منها أحياء كما كنتم بشراً من قبل أن يعيدكم فيها .

وكذلك من الأدلة على أن الناس سيبعثون بعد مماتهم قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

فهذه الآيات وغيرها كثير ، دليل يقيني على البعث بعد الموت ، لهذا من أنكر البعث ليس بمسلم .

البعث : لغة : الإرسال .وشرعاً : هو عودة الأرواح إلى الأجساد بعد النفخة الأخيرة

وأول من يبعث من الناس ، الرسول ﷺ . فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر " (رواه أحمد بسند حسن )

والناس يبعثون من قبورهم ، وهذا بالنسبة للمقبورين وإلاّ فمن حيث كانوا سيبعثون .

قوله رحمه الله : " وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ "

أي بعد أن يبعث الناس من قبورهم ، سيحاسبون على أعمالهم التي عملوها في حياتهم وسوف يجازون على هذه الأعمال ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

والدليلُ قولُهُ تعالى﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه مالك السموات والأرض ، وأنه الغني عما سواه ، الحاكم في خلقه بالعدل ، وخلق الخلق بالحق { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } أي سيجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قوله رحمه الله : ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ .

البعث بعد الموت ثابت بالدليل اليقيني من الكتاب والسنة ، لهذا من كذب به فهو كافر . ومن الأدلة على كفر من كذب بالبعث قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون { قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ } أي لتُخبَرُنَّ بجميع أعمالكم جليلِها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها { وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } أي بعثكم ومجازاتُكم على الله يسير .

هذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسولَه ﷺ أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده ، فالأولى في سورة يونس { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } والآية الثانية في سورة سبأ { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ }. والآية لثالثة هي هذه الآية .

الحساب والجزاء على الأعمال هو مقتضى الحكمة ، فإن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، فلو لم يكن هناك حساب ولا جزاء ، لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب عنه ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ .

قوله رحمه الله : وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ .

أي أن الله سبحانه وتعالى لمن يخلقنا عبثا بل أرسل إلينا رسلنا مبشرين ومنذرين .

" مبشرين " أي يخبرون الناس عن الثواب لمن وحد الله وأطاعه .

" منذرين " أي يخوفون من أشرك وعبد غير الله وعصاه بالنار والجزاء .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء : ١٦٥)

{ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } أي يبشرون من وحد الله وأطاعه بالخيرات ، ويخوفون من أشرك وعبد غير الله وخالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب . { لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه ، لئلا يبقى لمعتذر عذر .

قوله رحمه الله : وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ وآخِرُهُم محمدٌ ﷺ وهو خاتِمُ النَّبيينَ .

أي وأول الرسل إلى الأرض الذين بعثهم الله إلى قوم كفَّار يدعوهم إلى شرع جديد نوح عليه السلام وآخرهم مُحَمَّد ﷺ ،وهو خاتم النبيين ، لا نبي بعده.

رسولنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وخاتم المرسلين ، فلا نبي بعده ولا رسول لا ظلي كما يقول القاديانية ولا غير ظلي ، فهو خاتَم المرسلين والنبيين وخاتِمهم ، وكل دعوة لنبوة أو دعوة للرسالة بعده فهي ضلال وكفر بالله جل وعلا .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ( الأحزاب :٤٠)

رسولنا مُحَمَّد ﷺ هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، وشريعته خاتمة الشرائع ، قد نسخت جميع الشرائع السابقة فلا يقبل الله من أحد ديناً إلا دين الإسلام وشريعته .

قال تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ( آل عمران :٨٥)

فهذه الآية الكريمة تبين أن من آمن أو رضي أو طبق غير شريعة وقوانين الإسلام في كل مجالات الحياة فهو غير مسلم ومن الخاسرين في الآخرة .

قوله رحمه الله : والدليلُ على أنَّ أوَّلَهُم نوح قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾
يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى عبده ورسوله مُحَمَّد ﷺ ، من الشرع العظيم ، والأخبار الصادقة ، ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

الوحي المقصود في الآية هو وحي خاص ، وحي رسالة ، والمراد بالنبيين في الآية المرسلين.

نوح عليه السلام ليس هو أول نبي على الأرض ، وإنما هو أول رسول أرسله الله في قوم كفَّار يدعوهم إلى شرع جديد ، فقبل نوح عليه السلام آدم عليه السلام ، وهو نبي ، ثم بعد آدم عليه السلام النبي شيث ، وهو من أبناء آدم ، ثم إدريس عليه السلام وهو من أبناء شيث وكلهم قبل نوح ، ذكرهم ابن كثير في البداية والنهاية.

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾مريم:٥٦

بعد عشر قرون من آدم عليه السلام كانت كلها على التوحيد عم الشرك ، فأرسل الله عز وجل نوحاً عليه السلام لقوم مشركين يدعوهم إلى شرع جديد . فآدم عليه السلام نبي وليس رسولاً ، ويدل على ذلك ما رواه الطبراني والحاكم بسند صحيح أن الرسول ﷺ سئل أكان آدم نبياً ؟ قال : " نعم ومكلماً " . وحديث الشفاعة : قال رسول الله ﷺ "... فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، أما ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ .. " ( متفق عليه )

هذا المنطوق والمفهوم أنه ليس قبل نوح عليه السلام رسول . إذاً فما قبله كانوا أنبياء وليس رسلاً .

ووقع إشكال بين أهل العلم هل إدريس هو إلياس أم بينهما فرق ؟ والصحيح أن بينهما فرق . ذكر ابن جرير في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية فجعلا إدريس قبل نوح ، وإلياس من أولاد هارون مبعوث لبني إسرائيل .

وأما ما ذكره البخاري في صحيحه معلقاً عن ابن مسعود وابن عباس أن إدريس هو إلياس فقد ذكره البخاري بصيغة التمريض فقال : " وذكر عن ابن مسعود وعن ابن عباس أن إدريس إلياس " وهذا مما يشعر بضعف ما نقل عنهما .

أما أفضل الأنبياء فهم الرسل وأفضل الرسل الخمسة أولوا العزم وهم مُحَمَّد ﷺ وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام وأفضل الخمسة بالإجماع مُحَمَّد ﷺ ثم إبراهيم ، ثم وقع الخلاف في الثلاثة الباقين ، فقال الحافظ بن حجر أفضلهم بعد إبراهيم موسى ثم عيسى ثم نوح ، نقل ذلك عنه السفاريني في السفارينية .

أما عدد الأنبياء ، فقد ورد أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ، والرسل ثلاثمائة وبضعة عشر .

فعن أبي هريرة ﷺ قال قلت: يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً ." (رواه أحمد وابن مردويه وابن أبي حاتم)

ولأن هذا الحديث غير متفق على صحته ، فالأحوط أن يؤمن المسلم بشكل عام ، بجميع الرسل والأنبياء ، وبجميع الكتب التي أنزلها الله والتي لم تذكر في القرآن والسنة الصحيحة . والله أعلم بعدد الأنبياء والرسل وعدد الكتب السماوية.

قال تعالى : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ( النساء : ١٦٤)

قوله رحمه الله : وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ ، يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ .

أي : كل أمة وقع فيها الشرك ، أرسل الله فيها رسولاً ، يأمرهم بأن يعبدوا الله ويوحدوه في العبادة وينهاهم عن عبادة الطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله .

فجميع الرسل من نوح إلى مُحَمَّد ﷺ كانت أول وظيفة لهم هي دعوة الناس لعبادة الله وحده بالمعنى العام للعبادة ، والنهي عن عبادة الطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله ، وهذه الدعوة هي نفسها الدعوة لكلمة التوحيد لا إله إلا الله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت ﴾ (النحل : ٣٦)

يخبر الله سبحانه تعالى في هذه الآية الكريمة أن حجته قامت على جميع الأمم ، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة ، إلا وبعث فيها رسولا ، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ، ودين واحد ، وهو : عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة الطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله .

أيها الأخوة : وحتى لا أطيل عليكم أكتفي بهذا القدر في هذا الدرس . وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يبصرنا بالحق وأن يمن علينا بالالتزام به ، وبالثبات عليه ، حتى يتوفانا وهو راضٍ عنّا . اللهم آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الدرس الثاني عشر والأخير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

نكمل بعون الله شرح ثلاثة الأصول .

قال المصنف رحمه الله : " وافترضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ ."

لمّا ذُكر الطاغوت كان من المناسب ذُكر معنى الطاغوت لأهميته .

قوله رحمه الله : " وافترضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ ."

يعني : أن العبد حتى يدخل دين التوحيد فرض الله عليه أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، وبدون تحقيق هذين الشرطين لا يتحقق دخول دين التوحيد .

إن أعظم ركن في الإسلام جاءت به الرسل هو الإيمان بالله تعالى وحده والكفر بالطاغوت ، وهو غاية كل الرسل والرسالات ، وهو أول ما يجب على العبد القيام به نحو ربه قبل الصلا ة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك من الطاعات ، لأنه لا يصح إيمان وتوحيد إلا بعد الكفر بالطاغوت ، ولا يقبل عمل إلا بعد الكفر بالطاغوت ، ولا يُعصم دم إلا بعد الكفر بالطاغوت .

قال تعالى : ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) (النحل: ٣٦.)

فهذه هي المهمة الأولى لجميع الرسل بلا استثناء .

وقال تعالى : ( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٥٦)

فتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى ، له دلالات عظيمة :

منها : عدم الاستهانة بقضية الكفر بالطاغوت ، وبيان أنه أصل هام تبنى عليه بقية الأصول والفروع .

ومنها ، أنه لا بد من أن يسبق الإيمان الكفر بالطاغوت ، ولو قُدم الإيمان على الكفر بالطاغوت فإن الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء ، إلا بعد الكفر بالطاغوت والتخلي عن الشرك .

ومنها ، أن الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت لا يمكن اجتماعهما في قلب امرئ واحد ولو لبرهة واحدة ، فإن الإيمان بأحدهما يستلزم انتفاء الآخر . لأنه لا يجتمع الإيمان والشرك الأكبر في قلب واحد ، فإما إيمان بالله يتقدمه كفر بالطاغوت ، وإما إيمان بالطاغوت وكفر بالله تعالى ، وافتراض اجتماعهما هو افتراض اجتماع الشيء وضده في آن واحد .

و" العروة الوثقى " في الآية هي : ( لا إله إلا الله ) كلمة التوحيد ، يعني : فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها.

ومفهوم الآية يقتضي أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت ، أو كفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى وشهد أن لا إله إلا الله بالمعنى الصحيح .

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله "( رواه مسلم .)

ولقد علق المصنف رحمه الله على هذا الحديث في كتاب التوحيد حيث قال:

( وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه يدعوا إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ... ) .

ومعنى الكفر بالطاغوت : تكفيره وتكفير عابديه وتكفير من لا يكفرهم والبراءة منهم جميعهم .

ومن يقول لا إله إلا الله ، لكنه لم يَكفر بالطاغوت بهذا المعنى ، هو كمن يقول بالشيء وضده في آن واحد ، وبالشيء وعدمه ، فإن لا إله إلا الله تتضمن الكفر بالطاغوت في جانب النفي منها ، فمن لا يكفر بالطاغوت ، مثله مثل من يقول : لا إله إلا الله ، ثم من جهة أخرى – بلسان المقال أو الحال – يقول : هناك إله مع الله !!

وهذا في دعواه التوحيد كذاب منافق زنديق مستهزئ بدين الله .

أما كونه كذابا ، فهو لقوله بالشيء وضده . فمن جهة ، يدعي أنه يكفر بالآلهة جميعها إلا الله ، ثم تراه يؤمن بالطاغوت ويعبده من دون الله ..!

وأما كونه منافقا ، فهو لجمعه بين الشيء وضده ، فمن جهة تراه يزعم بلسانه التوحيد ، ثم هو في المقابل يضمر الكفر وعبادة الطاغوت ..!

وأما كونه زنديقاً ، فهو لجحوده وكفره وأنه عابد للطاغوت ، وإذا ما أقيمت الحجة على كفره ، فهو سرعان ما ينكر ويتملص بأنه مسلم وأنه يقول لا إله إلا الله ..!!

وأما كونه مستهزئا بدين الله ، فهو لإعلانه التوحيد مئات المرات وفي كل مرة لا يبالي في أن يأتي بما ينقض التوحيد من غير أن يجد حرجاً في أن يأتي بضده وبما ينقضه على مدار الساعة ..!! فأي تلاعب بدين الله بعد هذا التلاعب ، وأي استهانة بعد هذه الاستهانة .

هذا ، ولقد وردت كلمة الطاغوت في كتاب الله تعالى ثماني مرات في ثمانية مواضع :-

الأول في سورة البقرة : الآية ٢٥٦ : قال تعالى :

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ).

والثاني في سورة البقرة : الآية ٢٥٧ : قال تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)

والثالث : في سورة النساء : الآية ٥١ : قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا ).

والرابع في سورة النساء : الآية ٦٠ : قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا)

والخامس في سورة النساء : الآية ٧٦ : قال تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ)

والسادس في سورة المائدة : الآية ٦٠ : قال تعالى : ( قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ).

والسابع في سورة النحل : الآية ٣٦ : قال تعالى : ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ).

والثامن في سورة الزمر: الآية ١٧ : قال تعالى : ( وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ).

الطاغوت لغة : من طغى يطغو طغيانا : جاوز القَدْرَ وارتفعَ وغَلا في الكفر . وكل مجاوز حدَّه في العصيان طاغ . وطغى الماء والبحر : هاجت أمواجه ، وكل شيء جاوز القَدْرَ فقد طغى كما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود .

وجمع الطاغوت : طواغيت ، وفي الحديث : " لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي " وفي رواية أخرى : " ولا بالطواغيت " ، فالطواغي جمع طاغية ، وهي ما كانوا يعبدونه من الأصنام وغيرها ، ومنه : هذه طاغية دَوْس وخثعَم أي صنمهم ومعبودهم ، ويجوز أن يكون أراد بالطواغي من طغى في الكفر وجاوز الحدَّ ، وهم عظماؤهم وكبراؤهم .

قال أبو إسحاق : كل معبود من دون الله جبت وطاغوت...

وقال الشعبي وعطاء ومجاهد : " الجبت : السحر . والطاغوت : الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال .

قال الواحدي : " قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كلّ ما عبد من دون الله".

قال النووي : " قال الليث وأبو عبيدة والكسائي : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ".

وقد فسر السلف الصالح الطاغوت : بالشيطان ، وكل ما عبد من دون الله ، و الكهّان ، والساحر ، والأصنام ، و تراجمة الأصنام ، وأحبار اليهود .

وأجمع قول في معنى الطاغوت هو قول من قال : الطاغوت هو الشيطان (وهو قول جمهور الصحابة والتابعين ) ، وقول من قال : الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله ( وهو قول الإمام مالك بن أنس وجمهور أهل اللغة)، وما عدا هذين القولين ففروع منهما.

وهذان القولان يرجعان إلى أصل واحد له ظاهر وحقيقة :

فمن نظر إلى الظاهر قال :

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ... هذا مَن أجمل .

ومن نظر إلى الحقيقة قال :

الطاغوت : الشيطان ، وذلك لأن الشيطان هو الداعي إلى عبادة ما يعبد من دون الله ، كما أنه الداعي إلى كل كفر ...

فكل من كفر ... وكل من عبد غير الله ... فبتزيين الشيطان ... وكل من عبد غير الله – في الظاهر – فهو يعبد الشيطان على الحقيقة .

قال تعالى : ( أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ).( يس : ٦٠ )

وقال تعالى – عن إبراهيم عليه السلام – : ( يَاأَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا ) (مريم : ٤٤) ، مع أن أباه كان يعبد الأصنام كما قال الله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ) (الأنعام : ٧٤)

فالشيطان هو الطاغوت الأكبر ... فكل من عبد صنماً من حجر أو شجر أو بشر فهو إنما يعبد الشيطان ... وكل من تحاكم إلى قانون أو دستور أو حاكم من دون الله فهو إنما يتحاكم إلى الشيطان ، وهذا هو معنى تحاكمه إلى الطاغوت ... وكل من قاتل في سبيل نصرة قومية أو وثنية أو وطنية أو ديمقراطية أو ما شابه ، فهو إنما يقاتل في سبيل الشيطان ، وهذا هو معنى القتال في سبيل الطاغوت .

فمن نظر إلى الحقيقة قال : الطاغوت هو الشيطان .

ومن نظر إلى الظاهر فأجمل قال : كل ما يعبد من دون الله .

ومن فصّل سواء بحسب سبب النزول أو موضع الكلمة من السياق في الآية قال : الكهان أو الأصنام أو تراجمة الأصنام أو الساحر أو أحبار اليهود ... إلخ .

قوله رحمه الله : " قال ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع."

هذا أجمع تعريف للطاغوت .

ومن هذا التعريف يتبين أن الطواغيت ثلاثةُ أنواع :

١–طواغيت العبادة : وهو يشمل كل من عبد من دون الله وهو راض ويشمل من دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ويشمل الشيطان أيضاً ، ويشمل الأصنام.

٢–طواغيت الأتباع : ويشمل العلماء والعباد ، علماء السوء والعباد المنحرفين .

٣–طواغيت الطاعة : ويشمل الأمراء ورؤساء العشائر الذين يحللون ويحرمون من دون الله ، ويشمل الكهان والسحرة والحكام الذين يحكمون بغير شرع الله والمشرعين .

ويكمل ابن القيم رحمه الله قوله فيقول : " الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها ، رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته " (أعلام الموقعين : ١/ ٥٠.) أنتهى كلام ابن اقيم رحمه الله .

أقول : هذا حال الناس في عهد ابن القيم – رحمه الله – قبل أكثر من سبعمائة عام ، فكيف لو رأى ابن القيم الناس في زماننا ، فماذا تراه يقول ..؟!

فمن عبد أحداً غير الله جل وعلا فذلك الغير طاغوت هذا العابد ، ويكون المعبود طاغوتاً إذا كان راضيا بهذه العبادة ، أما إذا كان يكرهها فإنه لا يسمى طاغوتا ، فقد عُبدت الأنبياء والرسل ، وعُبد الصالحون ، وكلهم غير راضين بهذه العبادة بل يتبرؤون منها ومن فاعليها ، لهذا لا يسمون طواغيت .

قوله رحمه الله : " والطواغيتُ كثيرونَ ورؤوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ، ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ "

الطواغيت كثيرة يجمعها تعريف ابن القيم رحمه الله فهو أشمل تعريف . وعند الاستقراء والتأمل نرى أن أكبر الطواغيت ورؤوسهم خمسة وهم :

١– إبليسُ لعنَهُ اللهُ . إبليس والشيطان أكبر الطواغيت وأعظمها لأنه جمع معاني كثيرة من معاني الطاغوت ، فهو يدعو لعبادة نفسه ، ويدعو لعبادة غيره ويدعو إلى تغيير أحكام الله ، ويعين من يدعى علم الغيب .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (يس : ٦٠–٦١)

٢– ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ . أي من عبد من دون الله وهو راض بتلك العبادة من العابد ، بأي نوع من أنواعها ، فهو طاغوت ، وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك .

٣– ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ . أي من دعا إلى عبادة نفسه بالمعنى العام للعبادة . وإن لم يعبدوه ، فإنه من رؤوس الطواغيت ، سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يُجَبْ . وكذلك من أجبر الناس إلى التحاكم إلى قوانينه الوضعية الغير معتمدة على شرع الله .كما يفعله حكام اليوم ، فإنه يدخل في هذا المعنى ، فهو أيضاً من رؤوس الطواغيت .

قال تعالى : ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ )( الأنبياء : ٢٩)

٤– ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ : من ادعى شيئاً من علم الغيب فهو كافر ، لأنه مكذب لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾

وقال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجن :٢٦–٢٧

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْر ﴾ الأنعام :٥٩

٥– ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ .

الحاكم الذي يحكم بغير شرع الله ولو في مسألة واحدة فهو كافر خارج من الملة ومن رؤوس الطواغيت وليس فيه تفصيل ، فلو شَرَّع حكماً واحداً يضاد به حكم الله حتى ولو كان يعتقد في قرارة نفسه أن ما شرَّعَه لا يجوز أن يحكم به أو أن حكم الله أفضل ، فلا عبرة باعتقاده ، فالكفر مُناط بفعله وهو التشريع ، بغض النظر عن ما في قلبه ، ويدل عليه قوله تعالى : ( أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ) الشورى : ٢١

وقوله تعالى : ( فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ) البقرة : ٢٢

وقوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ) النساء : ٦٠

قوله رحمه الله :" والدليلُ قولُهُ تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله"

أي والدليل على أن الله افترض على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ لدخول الإسلام قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله : " وهذا هو معنى لا إله إلا الله"

يعني أن قوله تعالى : " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ " هو معنى لا إله إلا الله"

فالكفر بالطاغوت هو معنى النفي (لا إله) ، (وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) هو معنى الإثبات (إلا الله).

و (الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ) هي : الإسلام ، التوحيد .

فهذه الآية تبين أن الله ﷻ قد افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت حتى يحققوا التوحيد ويعتبروا من المسلمين .

قال المصنف رحمه الله : " وفي الحديثِ « رأسُ الأمْرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصَّلاةُ وذروةُ سَنامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ »

قوله رحمه الله " وفي الحديث "

المقصود الحديث الذي رواه الترمذي في كتاب الإيمان وهو :

عن معاذ بن جبل ﷺ قال : كنت مع النبي– ﷺ – في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني من النار ، فقال : " لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت " ثم قال : " ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل من

جوف الليل ، قال : ثم تلا : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ يعلمون ﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعمودِه وذروةِ سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه وقال : كُفَّ عليك هـذا ، فقلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ."

(رأسُ الأمْرِ الإسلامُ) يعني : رأس الدين الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ هو الإسلام وهو : الاستسلام لله ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك .

(وعمودُهُ الصَّلاةُ) وهذا يدل على عظم شأن الصلاة ، فهي من الدين مكان العمود من الفسطاط ، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت سقط الفسطاط ، فكذلك إذا فقدت الصلاة سقط دينُ تاركها ، ولم يبق له دين .

(وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ) ذروة الشيء أعلاه ، وهذا يفيد أن الجهاد هو أعلى وأرفع خصال الدين ، لما فيه من بذل الأنفس والمال لإعلاء كلمة الله ، فبذلك استحق أن يكون من الدين بهذا المكان .

وفي ختام هذا الشرح أسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم به ، وأن يجعلنا من المتعلمين حق التعلم ، العاملين بما نعلم . وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل التوحيد ؛ الذين يُعلون رايته ، وينافحون عنه ، ويُدافعون عنه وعن أهله ، كما أساله سبحانه العفو والغفران من جميع الزلل والسيئات ، وأسأله أن يعفو عني إذا حصل في هذا الشرح من غلط لسان ، أو سهو جنان . وجمعنا الله على نصرة دينه ورفع رايته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .